داليا راشد

نسمات أندلسية

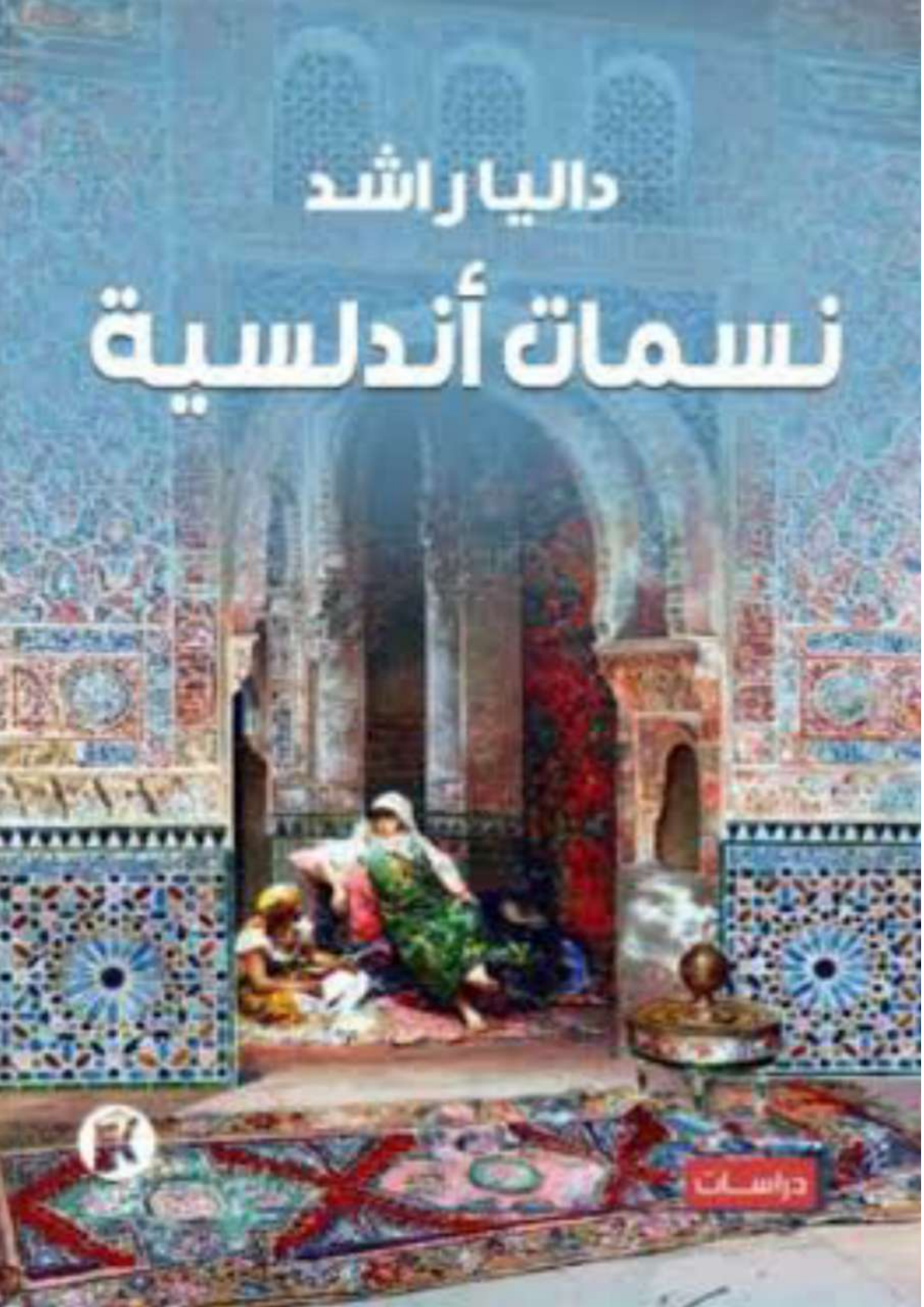

دراسات

مختصر تاريخ الأندلس

مقدمة:

للأندلس مكانة خاصة لدى من يعرفها ويقرأ عنها نشعر نحوها بحنين لا ينتهي، تضطرب مشاعرنا تجاهها بين الحزن والسعادة، والفخر والأسى، فقد كانت حضارة الأندلس حضارة عربية إسلامية عظيمة شهد لها الغرب قبل الشرق، اطلع فيها المسلمون على حضارة الأمم السابقة وأضافوا لها وطوروها وابتكروا الجديد ونبغ منهم الكثير من العلماء وقاموا بنقل هذه الحضارة ليس فقط إلى أوروبا بل وإلى العالم الجديد «القارتين الأمريكيتين»

للأسف كثيرون لا يعرفون عنها الكثير فالمناهج الدراسية مثلًا لا يتعدى الحديث عنها أكثر من صفحة أو نصف صفحة، في إطار الحديث عن فتوحات الدولة الأموية وفتح طارق بن زياد للأندلس وذكر الجملة الشهيرة: «البحر من ورائكم والعدو من أمامكم.» وهذه الجملة لم يذكرها طارق أصلًا.

في السنوات الأخيرة زاد الشغف والرغبة لدى الكثيرين للتعرف على الأندلس التي حكمها المسلمون ما يقرب من ثمانية قرون منذ عام ٩٢ هـ/ ٧١١ م حتى عام ٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م لكن أين تقع؟ من حكمها؟ كيف انتهت؟ ذلك ما سنعرفه من خلال هذه السطور

الأندلس أو شبه الجزيرة الأيبرية هي حاليًا دولتي إسبانيا والبرتغال بما فيها جزر إسبانيا الشرقية التي كانت تسمى ميورقة ومنورقة ويابسة وكان المسلمون يطلقون عليهم اسم الجزائر الشرقية، يحد الأندلس من الجنوب والشرق البحر

المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلنطي وتقع فرنسا على حدودها الشمالية لذلك يطلق عليها شبه الجزيرة الأيبرية.

وكانت منطقة جنوب غرب فرنسا تابعة لأيبرية تحت حكم القوط الغربيين الذين حكموا الأندلس وكانوا يطلقون عليها اسم ولاية سبتمانيا.

وفي فترة قصيرة في بدايات الحكم الإسلامي للأندلس سيطر عليها المسلمون، أما دولة فرنسا فكانت تعرف قديمًا باسم بلاد الغال وكان المسلمين يطلقون على سكانها اسم الفرنجة ويسمونها بلاد ما وراء جبال البُرت (جبال البيرنيه) وهي سلسلة جبال تفصل بين شبه الجزيرة الأيبيرية «الأندلس» وفرنسا.

أطلق المسلمون على شبه الجزيرة الأيبرية اسم الأندلس نسبة إلى قبائل الوندال وهي إحدى القبائل الجرمانية، التي حكمت الأندلس فترة قصيرة وموطنهم الأصلي بولندا، انتصر عليهم القوط الغربيون فرحلوا إلى تونس وأسسوا فيها مملكة قوية استمرت حوالي ١٥٠ عام واستطاع ملكها غزريش اكتساح روما سنة ٤٥٥م.

الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

يطلق بعض المؤرخين على سكان الأندلس قديمًا اسم الأيبريين رغم أن المكون السكاني لها كان يضم عدة أعراق من بينهم الأيبيريون والسلتيون والسلتي أيبيريين، ولحقهم فيما بعد الرومان وبعض القبائل الإيطالية والصقلية والجرمانية، حكمهم الفينيقيون وأقاموا في جنوبها عدة مدن مثل قادش ومالقة ثم القرطاجنيون الذين أسسوا فيها مدينة إشبيلية وقرطبة، وكان

الإغريق في ذلك الوقت يسيطرون على أجزاء من الساحل الشرقي لإسبانيا، ثم دارت الحروب بين الإمبراطورية الرومانية والقرطاجيين واستطاعت الإمبراطورية الرومانية في بداية القرن الثالث الميلادي ضم الأندلس التي أطلقوا عليها اسم هيسبانيا وأصبحت ولاية تابعة لهم، وتمتعت البلاد في عصر الرومان بالرخاء الاقتصادي والنفوذ السياسي والتأثير الفكري فاعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية أربعة أباطرة ولدوا في الأندلس، وظهر فيها العديد من الفلاسفة والأدباء مثل سينيقه ولوقان وكولوميلا، وامتد نفوذ الامبراطورية الرومانية إلى فرنسا وسواحل البحر الأبيض المتوسط، ولكن بعد حوالي قرنين ونصف، في نهايات القرن الرابع الميلادي بدأ الضعف يدب فيها، نتيجة الفساد والاستبداد، في ذلك الوقت ظهرت مجموعة من القبائل الجرمانية مثل الوندال والسوابيين (السوفي) والآلان والقوط الغربيين بدأوا بمهاجمة أراضي الإمبراطورية الرومانية واقتسموا أملاكها. استوطنت قبائل الوندال الأندلس فترة ثم استطاع القوط الغربيون طردهم وبدأ حكمُهم للأندلس وذلك في منتصف القرن الخامس الميلادي ويعد بعض المؤرخين عام ٥٠٧ م هو بداية السيطرة الفعلية للقوط على الأندلس، واتخذوا من مدينة طليطلة عاصمة لهم، ولبثوا في حكم الأندلس وحوالي قرنين من الزمان حتى وصول المسلمين... كان القوط كالدولة الرومانية ومعظم أهل الأندلس يعتنقون المسيحية ولكنهم كانوا يعتنقون المذهب الأريوسي فاضطهدوا سكان الأندلس الأصليين أصحاب العقيدة الكاثوليكية وهدموا لهم عدة كنائس مما اضطر البعض للهرب في الجبال ثم اعتنق الملك ريكهارد ملك القوط العقيدة

الكاثوليكية في عام ٥٨٩ م وانطوى الخلاف القائم بين الحاكم والمحكوم ولكن تعرض يهود الأندلس إلى اضطهاد كبير، ففي سنة ٦١٦ م أصدر ملك القوط سيزبوت قرارًا بفرض التنصر على اليهود أو النفي، فاعتنق اليهود النصرانية مجبرين وتكرر هذا في عهد الملك إجيكا حينما اكتشف أن البعض لا يزالون على اليهودية سرًا فأنذرهم إن بقوا على اليهودية سيتم بيعهم كعبيد وكان ذلك في سنة ٦٩٤م

وتركزت ثروات الأندلس في يد السادة القوط من النبلاء والأمراء وأثقلوا كاهل الشعب بالضرائب فعانى الشعب من الظلم والفقر كما منعوا التزاوج بين القوط والسكان الأصليين أو بينهم وبين الرومان الذين ولدوا في الأندلس

فتوحات المسلمين في الأندلس:

بعد فتح مصر وشمال إفريقيا تم تعيين موسى بن نصير واليًا على إفريقية من قبل الوليد عام ٨٩ هـ ٧١٠ م ولم يتبق له إلا ثغر سبتة وكانت تحت حكم القوط ويحكمها زعيم منهم يسمى الكونت يوليان والذي اتصل بموسى بن نصير واتفق معه على تسهيل عبوره الأندلس، لخلاف بينه وبين رودريك ملك القوط، وأمَد يوليان موسى بن نصير بالسفن. فأرسل موسى بن نصير للخليفة الوليد بن عبد الملك لاستشارته في الأمر فوافق على شرط أن يرسل أولًا سرية استكشافية فأرسل ابن نصير أول سرية مكونة من خمسمائة مقاتل لاستطلاع أحوال الأندلس بقيادة القائد الأمازيغي طريف بن مالك في شهر رمضان عام ٩١ هـ ٧١٠ م، وعبر طريف بالسفن ونزل في جزيرة بالوما في الجانب الإسباني من الأندلس فسميت بجزيرة طريف Tarifa

من ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

وفي شهر رجب عام ٩٢ هـ \ ٧١١ م أرسل موسى بن نصير والي طنجة القائد الأمازيغي طارق بن زياد لفتح الأندلس فتجهز بجيش جله من الأمازيغ ونزل طارق بن زياد وجنده أرض الأندلس في المضيق الذي سمي على اسمه فيما بعد مضيق جبل طارق، وفي يوم ٢٨ من شهر رمضان سنة ٩٢ هـ الموافق ١٧ يوليو سنة ٧١١م دارت المعركة الحاسمة التي تعرف باسم معركة وادي لكة أو وادي برباط بين طارق بن زياد ولذريق ملك القوط «رودريك» والتي استمرت سبعة أيام حتى انتصر المسلمون وانطلق بعدها طارق بن زياد في فتح المدن الأندلسية مثل الجزيرة الخضراء وقرمونة وجيان وغرناطة وطليطلة وغيرهم من المدن وأرسل مغيث الرومي فافتتح قرطبة التي ستصبح عاصمة الأندلس فيما بعد.

وفي العام التالي لحق موسى بن نصير بطارق بن زياد على جيش من الأمازيغ والعرب وافتتح إشبيلية وباجة وتدمير ولبلة وماردة، ثم التقى بطارق بن زياد في مدينة طليطلة واستأنفوا الفتوحات في الشمال وافتتحوا سرقسطة معًا ويقال أن موسى بن نصير توغل في أرض فرنسا وافتتح عدة مدن في إقليم سبتمانيا الذي كان يحكمه القوط، ولكن هنالك رأي آخر يفيد بأنه أرسل فقط بعض الحملات الاستكشافية.

وكان موسى بن نصير يفكر في أن يخترق أوروبا كلها حتى يصل إلى القسطنطينية ثم إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية، وكان المسلمون حاولوا فتح القسطنطينية من قبل من الشرق ولم ينجحوا في ذلك فكانت فكرة موسى أن يغزوها من الغرب.

ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك خشي على توغل المسلمين السريع في تلك الأراضي البعيدة فقام باستدعائه هو وطارق بن زياد.

عناصر ومكونات الشعب الأندلسي بعد الفتح الإسلامي:

قبل استكمال الحديث عن تاريخ الأندلس بعد الفتح الإسلامي، يجب الإشارة إلى عناصر المجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي حيث استقر في الأندلس عدد كبير من الفاتحين من العرب والأمازيغ «البربر» إلى جوار سكان البلد الأصليين ممن أسلموا وكان بعض المؤرخين يطلقون عليهم اسم الأسالمة أو المسالمة أما أبناؤهم الذين ولدوا على الإسلام كان يطلق عليهم اسم المُولدون أما غير المسلمين من اليهود والنصارى أطلق عليهم المعاهدون وأهل الذمة وعندما تعربت الأندلس وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة أطلق عليهم اسم المستعربون.

وفيما بعد في عهد الإمارة الأموية جد على الأندلس عنصر جديد كان له أثره في تاريخ الأندلس وهم الصقالبة وكانوا من العبيد والأرقاء تعود أصولهم إلى مناطق وسط وشرق أوروبا ويطلق عليهم اسم السلاف، تم توظيفهم في الجيش والحرس الملكي أما الخصيان منهم فكانوا يعملون في القصور، وأول من استكثر منهم كان الأمير الأموي الحكم بن هشام.

عهد الولاة في الأندلس:

استمر عهد الولاة في الأندلس مدة اثنين وأربعين عاما ٩٥/١٣٨هـ ـ ٧١٤ \ ٧٥٥ م تولى حكم الأندلس خلالها عشرون وليًا حكم اثنان منهم مرتين وهما عبد الرحمن الغافقي وعبد الملك

بن قطن، وكانت الأندلس خلال تلك الفترة تتبع إداريًا والي شمال إفريقيا أو تتبع الخلافة في دمشق مباشرة فيتم تعيين الولاة من قبل والي إفريقية في القيروان أو من قبل خليفة المسلمين في دمشق.

أول ولاة الأندلس كان عبد العزيز بن موسى بن نصير والذي اتخذ من مدينة إشبيلية عاصمة للأندلس وبقيت كذلك ثلاث سنوات حتى نقلها أيوب بن حبيب اللخمي أثناء ولايته للأندلس إلى مدينة قرطبة وظلت قرطبة عاصمة الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ويذكر أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز فكر في إخلاء الأندلس وإجلاء المسلمين عنها لبعدها عن أهل كلمتهم ولكن السمح بن مالك الخولاني والي الأندلس أرسل له يطمئنه ويعرفه بقوة الإسلام وأن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها وكتب له عن كثرة مدائنهم وشرف معاقلهم فعدل عمر عن رأيه وأقر السمح على ولايته ويذكر أن السمح قد وجد آثار قنطرة متهدمة على نهر الوادي الكبير في قرطبة كان قد بناها الرومان من قبل، فأعاد بناءها بالحجارة على أحسن من يكون ولا زالت هذه القنطرة الرائعة موجودة في قرطبة واهتم بتجديدها الولاة والأمراء المسلمون وملوك المسيحيين فيما بعد وتعرف باسم القنطرة الرومانية.

استمر الولاة في الفتوحات الإسلامية في الأندلس وتوغلوا في جنوب غرب فرنسا وغزوا ولاية سبتمانيا في جنوب غرب فرنسا في عهد الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي ثم قام من بعده السمح بن مالك الخولاني بفتح مدينة أربونة وقرقشونة في جنوب فرنسا ثم واصل إلى مدينة تولوشة «تولوز» التي استشهد فيها فكان أول والي أندلسي من أربعة ولاة استشهدوا

في بلاد الغال «فرنسا».

ثم قام عنبسة بن سحيم الكلبي بحملة أخرى على فرنساووصل حتى مدينة سانس التي تبعد حوالي ١٠٠ كيلو متر عن باريس وفي طريق عودته إلى قرطبة تعرض له أعداد كبيرة من الفرنجة «الفرنسيين» وأصيب بجروح بالغة توفي على أثرها. واستمرت عمليات العبور إلى الأراضي الفرنسية في عهد الوالي عبد الرحمن الغافقي في ولايته الثانية ووصل إلى بوردو ثم استشهد في معركة بلاط الشهداء أو لابواتيه على يد الملك شارل المعروف باسم شارل المطرقة وكان ذلك في سنة ١١٤هـ-٧٣٢م وكانت آخر حملات الولاة الأندلسيين على فرنسا هي حملة الوالي عقبة بن الحجاج السلولي عام ١٣٢هـ \ ٧٤١ م واستشهد فيها أيضًا.

ثم تفاقم الخلاف في الأندلس بين القبائل العربية اليمنية والقيسية وبينهم وبين الأمازيغ مما أدى إلى اضطراب أحوال الأندلس استغل هذه الفرصة بعض القوط الذين لجأوا إلى أقصى الشمال في منطقة جليقية، وكان المسلمون لم يتتبعوهم إلى هذه المنطقة استهتارًا بأعدادهم القليلة أو بسبب والجبال الوعرة التي تحصنوا بها، اجتمع هؤلاء القوط الفارين حول قائد يسمى بلايو أو بلاي الذي كون نواة الممالك المسيحية مثل ليون وقشتالة التي انتزعت فيما بعد الأندلس من المسلمين .

عهد الإمارة الأموية :

في سنة ١٣٢ هـ \ ٧٥٠ م سقطت الخلافة الأموية في الشام على يد العباسيين وقتل آخر خليفة أموي مروان بن محمد المعروف بالحمار في مصر وتتبع العباسيون بني أمية وقتلوا فيهم مقتلة

عظيمة يقول عنها الدكتور عبد الله عنان: «وعهد أبو العباس عبد الله المعروف بالسفاح إلى عمه عبد الله بن علي وهو بالشام تنظيم هذه المطاردة الدموية فتتبع وجوه بني أمية ومواليهم في كل مكان وأمعن في مطاردتهم وسفك دماءهم وقتل منهم جماعة كبيرة من الأمراء والسادة ولم يبقِ حتى على النساء والأطفال، ولما شعر أن كثيرين منهم فروا ولاذوا بالاختفاء زعم أن أبا العباس قد ندم على ما فرّط منه في حقهم، وأنه يشملهم بعفوه وأمانه فخُدع كثيرون منهم بهذا الوعد ولبوا دعوة عبد الله إلى الظهور واستطاع بهذه الوسيلة أن يقتل منهم نحو سبعين رجلًا آخر.»

ولكن استطاع الأمير الشاب الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الفرار من الشام إلى مصر حتى وصل إلى المغرب عند أخواله قبيلة نفزة وأرسل خادمه بدر إلى الأندلس يستطلع له أحوالها ويمهد له بين موالي بني أمية في الأندلس ويستميلهم في أن يعاونوا الأمير الأموي وكانت نتيجة رحلته مطمئنة فعبر عبد الرحمن إلى الأندلس ونزل بثغر المنكّب.

وكانت الأندلس تحت حكم رجلين هما يوسف بن عبدالرحمن الفهري والصميل بن حاتم اللذين رفضا مبايعته وحشدا له الجيوش فدارت بينهما وبين عبد الرحمن ومن انضم له من الموالين لبني أمية معركة المصّارة «المسّارة» وانتصر عليهما عبد الرحمن ودخل قرطبة وبدأ عصر الإمارة الأموية في الأندلس وذلك في عام ١٣٨هـ\ ٧٥٦م ولقب عبد الرحمن بن معاوية بعبد الرحمن الداخل لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكمًا لها، ولقب كذلك بصقر قريش لقوته وعزمه فقد خرج وحيدًا مطاردًا من الشام وهو في عمر التسعة عشر عامًا

واستطاع الوصول إلى الأندلس وبويع بالإمارة وهو في عمر الخامسة والعشرين عامًا وبدأ عهد الإمارة الأموية في الأندلس والتي استمرت في أبنائه وأحفاده حتى إعلان الخلافة فى الأندلس من قبل عبد الرحمن الناصر خليفة المسلمين في الأندلس والمغرب وذلك في عام ٣١٦ هـ \ ٩٢٩م

وكانت من أهم أعمال عبد الرحمن الداخل تنظيم شئون الدولة وإنشاء الدواوين وترتيب الجيش كما شرع في بناء مسجد قرطبة الجامع عام ١٧٠ هـ \ ٧٨٦ م وأسس دار السكة لضرب النقود، وجاء من بعده ابنه هشام وفي عصره تمذهب أهل الأندلس بمذهب الإمام مالك وكانوا قبلها يأخذون بمذهب الإمام الأوزاعي، كما شجع على تدريس اللغة العربية في الأندلس مما كان له أثر كبير في اعتناق الأندلسيين للإسلام، وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم المعروف بعد الرحمن الأوسط تم تأسيس أول أسطول بحري قوي للأندلس وذلك للتغلب على هجمات النورمان «الفايكينج» وهم شعوب وثنية تسكن الدول الإسكندنافية كانوا يعيشون على الإغارة والسلب والنهب على سواحل أوروبا مثل فرنسا وبريطانيا وقد أغاروا أكثر من مرة على سواحل الأندلس حتى استطاع عبد الرحمن الأوسط هزيمتهم هزيمة لم يفكروا بعدها في الاقتراب من الأندلس لمدة قرن من الزمان حتى عهد الخليفة الحكم المستنصر ولكن استطاع المسلمين التصدي لهم. كما اهتم عبد الرحمن الأوسط بالآداب والفنون والعلوم وأنشأ دار الطراز لصناعة الأقمشة وأسس مدينة مرسية والتي أصبحت عاصمة كورة تدمير وذلك عام ٨٣١ م

وجاء من بعده ابنه الأمير محمد الأول والذي قام ببناء مدينة مجريط وهي مدينة مدريد عاصمة إسبانيا حاليًا وذلك بغرض

حماية وادي نهر التاجة ضد الحملات العسكرية المسيحية القادمة من الشمال وهو نفس السبب الذي أسس من أجله مدينة طلمنكة.

عهد الخلافة الأموية:

رغم أن الأندلس كانت دولة مستقلة لا تتبع الخلافة العباسية إلا أن أمراءها من بني أمية لم يتخذوا لقب الخلافة حتى عصر عبد الرحمن الناصر المعروف باسم عبد الرحمن الثالث الذي كان نفوذه قد امتد إلى حكم مناطق في المغرب وكان وقتها هنالك خلافتان العباسية في بغداد والتي بدأ الضعف يدب فيها والخلافة الفاطمية في القاهرة والتي تنتمي لمذهب مختلف وهو المذهب الشيعي الإسماعيلي، فرأى أنه من المناسب أن يتخذ لقب خليفة المسلمين في المغرب والأندلس وذلك في عام ٣١٦ هـ/ ٩٢٩م

حكم عبد الرحمن الثالث زهاء الخمسين عامًا وكانت الأندلس وصلت في عهده إلى أوج تقدمها وازدهارها حتى أن قرطبة كانت تنافس بغداد في ذلك الوقت وقام بتجديد مسجد قرطبة الجامع وأعاد بناء مئذنته، وأسس مدينة المرية عام ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م لتكون قاعدة للأسطول البحري.

واسمها مشتق من سبب إنشائها فقد كانت مرأى ومحرسًا بحريًا لمدينة بجانة القريبة ولذلك سميت بمرية بجانة ومع الوقت اختصر اسمها إلى المرية، وكانت من أهم الثغور والموانئ التجارية في الأندلس وتفوقت في صناعة المنسوجات الحريرية وكانت في عصر مملكة غرناطة منفذًا بحريًا لهم

وتصل من خلالها الإمدادات والمؤن من بلاد المغرب.

ويذكر د السيد عبد العزيز سالم أن سقوطها عام ١٤٩٠ كان نذيرًا بسقوط غرناطة ومن أعمال عبد الرحمن الثالث بجانب إنشاء العديد من الحصون والقلاع كان البدء في بناء مدينة الزهراء شمال غرب قرطبة في عام ٣٢٥ هـ \ ٩٣٦م لتكون مدينة ملكية يقيم فيها الخليفة وحاشيته، واستمر في بنائها أربعين عامًا.

واستكمل بناءها من بعده ابنه الخليفة الحكم المستنصر الذي كان شغوفًا بالقراءة محبًا للآداب والفنون والعلوم واحتوت مكتبة قرطبة في عهده على ٤٠٠ ألف مجلد وقيل بل ٦٠٠ ألف.

وزاد في جامع قرطبة وابتني المحراب الثالث وزخرفه بالفسيفساء واستغرق بناؤه أربعة أعوام وأضاف له قبة في غاية الروعة وقام بتوسعة المسجد الجامع وابتنى بجوار الجامع دارًا للصدقة وأخرى للوعاظ وعمال المسجد.

توفي الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ\٩٧٦م وترك في ولاية عهده ابنه الطفل هشام الذي لقب بالمؤيد وكان يبلغ من العمر ١١ عامًا أراد كبار الفتيان الصقالبة الذين يعملون في قصر الخلافة تولية المغيرة بن عبد الرحمن الناصر الخلافة ولكن تم التخلص من المغيرة بقتله من قبل رجلين هما الوزير جعفر بن عثمان المصحفي وصاحب الشرطة محمد بن أبي عامر، وتم أخذ البيعة لهشام المؤيد.

الدولة العامرية: (٣٦٨هـ\٩٧٨ م – ٣٩٩ هـ\ ١٠٠٩م)

تنسب هذه الدولة إلى الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، كان جده عبد الملك المعافري أحد المجاهدين الكبار الذين دخلوا

الأندلس مع جيش طارق بن زياد ترقى في الوظائف حتى أصبح حاجبًا للخليفة الطفل هشام المؤيد وبعدما تخلص من كل خصومه ومنافسيه بسط سلطانه على الأندلس وأصبح هو الحاكم الفعلي لها وهشام محجور عليه في قصر الزهراء لا يملك من الخلافة إلا اللقب وأنشأ محمد بن أبي عامر مدينة الزاهرة لتكون مقرًا لحكمه، وقام بتوسعة المسجد الجامع في قرطبة فزاد فيه زيادة كبيرة من الناحية الشرقية، وأسس جيشًا قويًا، وتولى بنفسه سائر غزواته على الممالك المسيحية في الشمال «قشتالة وليون ونافار» وكان يغزو مرتين كل عام في الربيع والصيف وبلغت الأندلس في عهده أقصى توسع لها منذ الفتح الإسلامي واستعاد عدة مدن مثل برشلونة وقلمرية وسمورة وشنت ياقب، لكن غزواته لم تكن من أجل غاية سياسية وعسكرية طويلة المدى للقضاء على الممالك النصرانية وتأسيس حكم إسلامي في المناطق التي استعادها كما كان الحال أيام الفتوحات الإسلامية بل كانت أشبه بالحملات العسكرية لردع النصارى، وكان هذا كفيلًا لإرباك الممالك المسيحية في الشمال ودب الرعب في قلوبهم فلم يجرؤوا على مهاجمة أراضي المسلمين خاض الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر أكثر من خمسين غزوة لم يهزم في واحدة منها قط، وفي آخر غزواته على مملكة قشتالة شعر بالمرض ولم يقو على اعتلاء جواده فحمل على محفَة إلى مدينة سالم التي توفى بها. ويقال أنه كان يجمع غبار معاركه من على ملابسه ويضعها في قارورة أو في مناديل، وأوصى أن تدفن معه عسى أن يرحمه الله بجهاده .

وتولى من بعده ابنه المظفر عبد الملك وسار على نهج والده حتى توفي فحكم بعده أخوه من أبيه عبد الرحمن وكان محمد

بن أبي عامر قد تزوج من ابنة سانشو غرسيه ملك نافار وأنجب عبد الرحمن هذا الذي كان أهل الأندلس لا يحبونه لمجاهرته بشرب الخمر ورعونته وأطلقوا عليه اسم شنجول وسانشول نسبة لجده سانشو أي سانشو الصغير وما أن تولى حكم الأندلس حتى فكر في نقل الخلافة من البيت الأموي إلى أسرة بني عامر فطلب من الخليفة المؤيد هشام بن الحكم أن يجعله وليًا لعهده فلم يكن أمام الخليفة إلا الموافقة وتمت البيعة سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م

واستمر شنجول في رعونته وتصرفاته الطائشة، مما أدى إلى التمرد عليه في قرطبة وقام وجهاء بني أمية بمبايعة هشام بن عبد الجبار خليفة للمسلمين واضطربت الأندلس مدة عشرين عامًا وتولى فيها الخلافة عدد من الخلفاء حتى خلع الوزير أبو الحزم بن جهور آخر خليفة أموي وأعلن رسميًا سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ٤٢٢ هـ/ ١٠٣١م ليبدأ عصر ملوك الطوائف.

عصر ملوك الطوائف:

كانت الحوادث التي عصفت بالأندلس بعد وفاة المنصوروابنه المظفر أدت إلى حرب أهلية اضطربت فيها أحوال الأندلس واستغلت الممالك المسيحية هذه الفرصة واستولت على العديد من المدن في شمال الأندلس ولولا صراع نشب بينهم أيضًا كانت العواقب ستكون وخيمة على الأندلس.

في هذه الفترة التي امتدت حوالي العشرين عامًا تولى الحكم فيها سبعة خلفاء من بني أمية وهم محمد بن هشام المهدي، سليمان المستعين، هشام المؤيد، ثم سليمان للمرة الثانية حتى

استطاع بنو حمود «وكانوا من الأمازيغ» انتزاع الخلافة من بني أمية فترة قصيرة ثم عاد بنو أمية وتولى الخلافة منهم المرتضي والمستظهر والمستكفي ثم هشام المعتد بالله حتى اتفق وجهاء قرطبة وعلى رأسهم الوزير أبو الحزم بن جهور أن يخلعوا آخر خليفة أموي ويعلنوا سقوط الخلافة في سنة ٤٢٢هـ\١٠٣١م.

وبدأ عصر ملوك الطوائف والذي استمر قرابة السبعين عامًا تفككت فيه الأندلس إلى دويلات صغيرة سميت باسم الممالك فصارت قرطبة مملكة وإشبيلية مملكة وغرناطة ومالقة والمرية وغيرهم من المدن الأندلسية واتخذ كل حاكم لقب الملك، بعض المدن ملكها العرب مثل بني عباد في إشبيلية وبني هود في سرقسطة وبني طاهر في مرسية والبعض الآخر ملكها الأمازيغ مثل بني زيري في غرناطة وبني ذي النون في طليطلة وبنو برزال في قرمونة وبني الأفطس في بطليوس وبعض المدن ملكها الفتيان الصقالبة مثل دانية والمرية وطرطوشة، واستمر الصراع والحروب والدسائس والمؤامرات بينهم ودفعوا الجزية للممالك المسيحية حتى وصل الأمر إلى سقوط مدينة طليطلة التي كان يحكمها بني ذي النون على يد ملك قشتالة ألفونسو السادس وذلك في سنة ٤٧٨ هـ\ ١٠٨٥م وكان سقوطها شديد الوقع على الأندلسيين فقد كانت من أعظم حواضر الأندلس وأول مدينة كبيرة تسقط في يد مملكة قشتالة وأسقط في يد ملوك الطوائف وشعروا بأنها مسألة وقت وسيلقون مصير طليلطة وأميرها واحدًا تلو الآخر فقرروا الاستعانة بقوة فتية ودولة ناشئة قوية وهي دولة المرابطين.

المرابطون:

ينتمي المرابطون إلى القبائل الأمازيغية لمتونة وكدالة ومسوفة. بدأت دولتهم على يد الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين الجزولي وذلك عندما التقى به زعيم قبيلة جدالة يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي ذهب للحج وفي طريق العودة شاهد مجالس العلم في القيروان وقرر أن يبحث عن فقيه يعلم قومه أحكام دينهم فسأل الفقهاء عن من يصلح لهذه المهمة فقام الفقيه واجاج بترشيح عبد الله بن ياسين الجزولي لهذه المهمة، وبالفعل ذهب عبد الله مع يحيى إلى جدالة.

لكن أفراد القبيلة لم يتحملوه بسبب جهلهم بأحكام الدين فقرر أن يفارقهم وصحب يحيى بن إبراهيم عدد قليل ممن اتبعه وتوجهوا إلى جزيرة في نهر السنغال وبدأ بتأسيس الدعوة واتخذ لهم اسم المرابطين، حتى زاد أتباعه وبدأوا في الجهاد وحاربوا باقي القبائل وأخضعوا كدالة ولمتونة وغيرهم وخلف عبد الله بن ياسين عمر بن يحيى اللمتوني ثم أخوه أبو بكر الذي انشغل بالجهاد فترك حكم المرابطين لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني، الذي واصل الفتوحات وسيطر على شمال إفريقيا من الجزائر شرقًا حتى المحيط الأطلنطي غربًا ومن البحر المتوسط شمالًا حتى موريتانيا ومالي وحوض نهر السنغال جنوبًا وأسس يوسف بن تاشفين مدينة مراكش واتخذها عاصمة لدولته أرسل ملوك الطوائف طلب النجدة والعون من يوسف بن تاشفين رغم رفض بعضهم خشية أن يقوم بإزاحتهم من حكم الأندلس ولكن رد عليهم المعتمد بن عباد ملك إشبيلية وقال: «رعي الجمال خيرمن رعي الخنازير» يقصد أن يصبح أسيرًا لدى ابن تاشفين المسلم خير من أن

يصبح أسيرًا لدى ملك قشتالة المسيحي. ووافق يوسف بن تاشفين على مساعدتهم وعبر بجنوده إلى الأندلس ليحارب معهم ضد قشتالة.

معركة الزلاقة:

خرج أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في جنده المرابطين ومعه جنود الأندلسيين التابعين لملوك الطوائف ومنهم المعتمد ملك إشبيلية وعبد الله بن بلقين ملك غرناطة وأخوه ملك مالقة وأرسل المعتصم بن صمادح ملك المرية ابنه معز الدولة وساروا نحو بطليوس وانضم لهم عمر المتوكل أميرها وعلى شمال بطليوس على حدود البرتغال حاليًا دارت معركة الزلاقة التي سميت بهذا الاسم من كثرة الدماء التي سالت فيها فكانت الخيول تنزلق في هذه الدماء، وحشد ألفونسو السادس جنده وطلب العون من ملك أراغون وأرسل إلى أمراء فرنسا خلف جبال البرنيه وحشد الجنود من مملكة نافار واستورياس وتقاطر عليه سيل من المتطوعة الفرنسيين والإيطاليين.

والتقى الجيشان في يوم الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ م وبعد معركة طويلة انتصر المسلمون نصرًا عظيمًا وفر ألفونسو في خمسمائة من جنده معظمهم جرحى ومات أغلبهم في الطريق حتى أنه يقال أن كل من وصل إلى طليطلة مع ألفونسو فقط مئة فارس. ورحل يوسف بن تاشفين إلى المغرب بعد المعركة مباشرة بعد أن استراح بضع أيام في إشبيلية وكانت عودته السريعة إلى المغرب بسبب وصوله نبأ وفاة ابنه وولي عهده أبي بكر. وعادت رسل الأندلسيين تصل إليه طالبة منه العون خاصة أهل بلنسية

ومرسية ولورقة وعبر يوسف بن تاشفين مرة ثانية، وبعدها أدرك أن حال الأندلس لن ينصلح في ظل انقسامها بين ملوك الطوائف وأرسل له بعض فقهاء الأندلس يحثونه فيها على تخليصهم من ملوك الطوائف فأرسل ابن تاشفين يستفتي بعض الفقهاء عن رغبته في ضم الأندلس ومن هؤلاء الفقهاء أبو حامد الغزالي وأبو بكر الطرطوشي وجاء ردهم بالموافقة على ذلك فأرسل إلى الخليفة العباسي في بغداد يستأذنه ووافق الخليفة وحثه على تخليص الأندلس من ملوك الطوائف.

وعبر يوسف بن تاشفين وبدأ ضم الأندلس في عام ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م التي أصبحت ولاية تابعة لدولة المرابطين وفي عهده تم استعادة مدينة بلنسية عام ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢م.

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين خلفه ابنه عليّ واستطاع المرابطون في عهده وبقيادة أخيه تميم بن يوسف أن ينتصروا على القشتاليين في موقعة أقليش التي قتل فيها ابن الفونسو الوحيد، وتسمى هذه المعركة الزلاقة الصغرى، كما استطاع المرابطون أن يستردوا طلبيرة ومجريط «مدريد» ووادي الحجارة، ثم استردوا شنترين وشنترة في أندلس الغرب «البرتغال حاليًا» والجزر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة وذلك عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٦ م ولكنهم خسروا مدينة لها أهمية كبرى وهي سرقسطة عندما استولى عليها ملك أراغون سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م ثم انتصروا على القشتاليين في معركة أفراغة. ولكن لم يدم حكم المرابطين للأندلس سوى خمسين عامًا ليحل محلهم دولة الموحدين.

الموحدون:

بدأت دعوة محمد بن تومرت في مراكش عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتقد المرابطين لاهتمامهم بالفروع دون الأصول، اعتقله فترة علي بن يوسف بن تاشفين ثم أخرجه من مراكش فذهب إلى أغمات واستمر بالدعوة، واتهم المرابطين بالتجسيم والكفر، ثم أخرجه حاكم أغمات فسار إلى جبال المصامدة ونزل بلدته هرغة وظل يؤلب الناس على المرابطين ولما وجد أن دعوته أتت ثمارها وكثرت الجموع حوله ادعى أنه المهدي المنتظر وأنه من نسل الرسول ﷺ وكان ذلك يوم ١٥ رمضان سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م وأول من بايعه عشرة من تلاميذه المقربين على رأسهم عبد المؤمن بن علي.

وبدأ القتال بين الموحدين والمرابطين بضع سنوات حتى توفي محمد بن تومرت في سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م وخلفه صديقه وتلميذه عبد المؤمن بن علي وكان من قبيلة كومية وهي بطن من بطون زناتة واستمرت الحروب بينه وبين المرابطين حتى وصل إلى مراكش في ١ محرم سنة ٥٤١ هـ / الموافق ١٣ يونيو سنة ١١٤٧م وضرب عليها الحصار حتى دخلها في ١٨ شوال ٥٤١هـ/٢٤مارس ١١٤٧ م.

وورث الموحدون دولة المرابطين في المغرب والأندلس ووصلت الوفود الأندلسية إلى عبد المؤمن بن عبنف تستنصره لمد يد العون للأندلس في مواجهة النصارى فقد أثر تفكك المرابطين على ولاتهم في الأندلس، وهكذا انتقلت الأندلس من حكم المرابطين إلى الموحدين التي كان من أعظم ملوكها، ثالث

خلفائها المنصور أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الذي قاد الجيش بنفسه وعبر إلى الأندلس وحقق نصرًا كبيرًا على ألفونسو الثامن ملك قشتالة في معركة الأرك في التاسع من شعبان سنة ٥٩١ هـ ١٨ يوليو ١١٩٥ م واسترد بعد المعركة قلعة رباح وكان هدفه أن يصل إلى طليطلة عاصمة قشتالة ويستردها ولكنه لم ينجح فى هذا .

أما من أعماله العمرانية، بناء الجامع الكبير في إشبيلية ومئذنته الفارهة التي تسمى الآن الخيرالدا وابتنى في إشبيلية قصر المورق على أنقاض قصر المعتمد بن عباد كما أنشأ قصر البحيرة. وفي عهده أيضًا استطاع الموحدون استرداد مدينة شلب.

بعد وفاة المنصور تولى من بعده ابنه محمد الناصر وفي عهده حدثت هزيمة كارثية لجيوش الموحدين أمام ألفونسو الثامن ملك قشتالة -الذي كان يعد العدة للنصر على المسلمين بعد هزيمة الأرك- وسانشو ملك نافار وبيدرو ملك أراغون، بالإضافة إلى الجنود المتطوعة من فرنسا وجنود من البرتغال وجليقية، أما جيش الموحدين فبالإضافة إلى الجيش النظامي كان هناك قسم يضم القبائل المغربية صنهاجة وزناتة والمصامدة وغيرهم وقسم يضم العرب آخر يضم الأندلسيين وقسم للجنود المتطوعة.

والتقى الجيشان في يوم ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ الموافق ١٦ يوليو ١٢١٢م وانهزم المسلمون هزيمة فادحة في هذه المعركة التي تسمى معركة العقاب. واستولى ألفونسو على مدينتي بياسة وابدة.

وبعد هزيمة العقاب ووفاة الناصر تولى ابنه الطفل المستنصر بالله ودب الضعف في دولة الموحدين وانخرطت في صراعات داخلية كثيرة وامتد الصراع من المغرب إلى الأندلس، وضاعت حواضر إسلامية كبيرة مثل قرطبة وإشبيلية وبلنسية، حتى انتهت دولة الموحدين في سنة ٦٦٨ هـ\ ١٢٦٩م لترثها دولة بني مرين في المغرب التي قامت بدور بارز وهام في حماية الأندلس مثل مثيلتها من قبل دولة المرابطين والموحدين.

أحوال الأندلس بعد معركة العقاب حتى سقوط قرطبة وقيام دولة بني الأحمر في غرناطة:

أدى ضعف الدولة الموحدية في الأندلس إلى عدّة ثورات من أهمها ثورة محمد بن يوسف بن هود وكان من جند مرسية، ينتمي إلى بني هود الذين حكموا سرقسطة من قبل، واستطاع أن يسيطر على مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وأنهى سلطان الموحدين على الأندلس ودعا للخليفة العباسي المستنصر ليضفي على حكمه صبغة شرعية، ولكنه خسر عدة معارك ضد فرناندو الثالث ملك قشتالة. وسقطت قرطبة عاصمة الأندلس وأعظم مدنها في ٢٣ شوال ٦٣٣ هـ\ ٢٩ يونيو ١٢٣٦ م بعد حصار طويل على يد فرناندو الثالث ملك قشتالة الذي قام بتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة. ولم يحرك ابن هود ساكنًا لإنقاذ المدينة ولم يهرع أحد لنجدتها مثل محمد بن يوسف بن الأحمر الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل ثم توفي ابن هود وبعد وفاته عادت إشبيلية إلى سيادة الموحدين سنة ٦٣٥ هـ\ ١٢٣٨ م.

بنو نصر أو بنو الأحمر ملوك غرناطة:

كانت غرناطة أيام الفتح الإسلامي للأندلس بلدة صغيرةقرب مدينة إلبيرة وبقيت كذلك في عصر الدولة الأموية وبمرور الزمن حلت غرناطة محل البيرة وأصبحت إمارة في عصر ملوك الطوائف وتنقلت بعد ذلك بين حكم المرابطين ثم الموحدين.

أما محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة فيعود أصله إلى قبيلة الخزرج وينتهي نسبه إلى الصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه، وكانت أسرته قد تقلدت عدّة مناصب في زمن الدولة الأموية استطاع أولًا أن يبسط حكمه على حصن أرجونة بلدته وسيطر على عدّة مدن وبدأت النزاعات بينه وبين ابن هود فدخل في طاعته حتى وفاته ثم استطاع بعدها أن يسيطر على مدينة غرناطة ومالقة ووادي آش وشريش والمرية وجيان وبياسة وإستجة وفي أواخر شهر رمضان ٦٣٥ هـ/ إبريل ١٢٣٨ م دخل ابن الأحمر غرناطة بناء على استدعاء أهلها له بعد ثورتهم على واليها من قبل ابن هود، عتبة بن يحيى المغيلي، ووصلها في ذلك اليوم وهو يرتدي ثيابًا خشنة وحلة مرقعة وقصد مسجد القصبة وأمَّ الناس في صلاة المغرب ثم اتجه إلى قصر باديس الذي يقع على ربوة عالية بجوار قصبة «قلعة» غرناطة التي كان ابتناها باديس بن حبوس ملك غرناطة في عصر ملوك الطوائف وابتنى محمد بن الأحمر قصره المعروف باسم قصر الحمراء وجدد قصبتها وأنشأ عدة أسوار دفاعية وظل الملوك بعده يزيدون في قصر الحمراء حتى أصبح الآن من أهم المعالم السياحية في إسبانيا.

اتخذ ابن الأحمر من مدينة غرناطة عاصمة لمملكته وتولى

حكمها أبناؤه وأحفاده من بعده واستطاعت مملكة غرناطة أن تصمد قرنين ونصف من الزمان أمام مملكتي قشتالة وليون قبل أن تسقط في عام ١٤٩٢ م وينتهي حكم المسلمين في الأندلس. أما عن سبب تسمية بنو نصر ببني الأحمر فيقال أنه بسبب لون شعرهم الأحمر ويقال لأسباب أخرى، واتخذ بنو الأحمر من هذا اللون شعارًا لهم في العلم وفي لون قصورهم وفي خيامهم والكثير من ملابسهم أزيائهم .

في بداية عهد محمد بن الأحمر حاول الاستعانة بسلطان الحفصيين في تونس وببني مرين في المغرب ولكنه في النهاية اضطر إلى عقد معاهدة مع ملك قشتالة فرناندو الثالث لمدة عشرين عامًا يدفع له فيها جزية سنوية ويحضر إلى البلاط القشتالي بصفته تابع لملك قشتالة وأن يعاونه ويمده بالجند وللأسف شارك ابن الأحمر، ملك قشتالة في حصاره على إشبيلية حتى سقطت في سنة ٦٤٦ هـ\ ١٢٤٨ م.

وأصبحت مملكة غرناطة ملاذًا لكل مسلم طرد من مدينته بعد سقوطها، واستمر الجهاد في مملكة غرناطة بمساعدة سلطان بني مرين مثل السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي طلب منه ابن الأحمر العون على ملك قشتالة فعبر بنفسه للأندلس ولكن كان ابن الأحمر قد توفي فاستقبله ولده محمد الثاني الملقب بالفقيه، لورعه وتدينه، وخاضوا سويًا معركة الدونونية ضد ملك قشتالة ألفونسو العاشر سنة ٦٧٤هـ\ ١٢٧٦ م انتصر فيها المسلمون نصرًا عظيمًا أعاد ذكرى معركتي الزلاقة والأرك .

استمر الجهاد في مملكة غرناطة سنوات بمساعدة بني مرين

ملوك المغرب الذين أرسلوا عددًا من الجنود ليكونوا في رباط للمساعدة في القتال وكان يتم تعيين رئيس لهم من قبل سلطان المغرب ويطلق عليه اسم شيخ الغزاة، ومن المعارك العظيمة التي انتصر فيها المسلمون موقعة المرج في ٧١٩ هـ \ ١٣١٩ م ويسميها الإسبان كارثة غرناطة، دارت هذه المعركة بين الأندلسيين من مملكة غرناطة بقيادة أبي الوليد إسماعيل والجنود المغاربة بقيادة شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء المريني وانتهت المعركة بانتصار المسلمين ومقتل اثنين من أمراء قشتالة، وتذكر المصادر الإسبانية أن سبب هزيمتهم أن الجند عانوا من الحر وأن الأميرين ماتا من العطش، على أي حال كانت هذه المعركة من المعارك الرادعة لمملكة قشتالة .

وفي سنة ٧٣٣ ه- \ ١٣٣٣م تولي السلطان أبو الحجاج يوسف الأول حكم غرناطة ويعد عصره من فترات الازدهار أنشأ فيها المدرسة النصرية وتعرف أيضًا بالمدرسة اليوسفية واهتم بتحصين البلاد فبنى عدة حصون وبنى سورًا عظيمًا حول البيازين كما كانت له إضافات كثيرة في قصر الحمراء. وفي عصره اجتاح العالم وباء عظيم وهو الطاعون الأسود أو الموت الأسود، بداية انتشاره كانت في سنة ٧٤٨ ه- \ ١٣٤٧م عن طريق بحارة إيطاليين انتقل لهم المرض من ميناء كافا في شبه جزيرة القرم ويقال أن الوباء انتقل إلى العالم من وسط آسيا من الصين أو من الهند وتسبب هذا الوباء في موت ثلث سكان أوروبا وربع سكان العالم تقريبًا .

وفي سنة ٨٤٤ ه- \ ١٤٤٠ م وبسبب بداية ضعف دولة بني مرين في المغرب،كانت أول استغاثة من الغرناطيين تصل إلى مصر عن طريق سفراء أرسلهم السلطان أبو عبد محمد بن يوسف

الرابع والبابا إنوصان الثامن من بعده فقد وفرا الدعم المادي لفرناندو وإيزابيلا للقضاء على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبرية .

وكان لاستيلاء فرناندو على مدينة الحامة سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م أثر كبير في ضعف مملكة غرناطة إذ أن موقع هذه المدينة يشكل خطرًا كبيرًا على مالقة وغرناطة. وفي عام ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٧ م سقطت مدينة مالقة بعد حصار طويل على يد فرناندو الذي أمعن في أهلها قتلًا وسبيًا وانقطعت كل صلة بين غرناطة والعالم الإسلامي بعد سيطرة النصارى على كل الثغور وأرسلت غرناطة مرة أخرى طلبًا للمساعدة من مصر وكان يحكمها وقتها السلطان الأشرف قايتباي الذي أرسل رسائل تهديد ووعيد لبابا روما وملوك أوروبا وللملك فرناندو بأنه إذا لم يتوقف عن مهاجمة المسلمين سيدمر كنيسة القيامة ويمنع الحج عن المسيحيين وظل يذكرهم بأن لهم رعايا من المسيحيين تحت حكمه ويستطيع إلحاق الضرر بهم إذا قاموا بإيذاء المسلمين، فجاءه رد دبلوماسي من فرناندو وإيزابيلا يخبراه فيه أنهما لا يفرقان بين المسيحيين والمسلمين الذين يعيشون تحت حكمهما.

كما وصلت بعض الاستغاثات من الأندلسيين إلى السلطان العثماني بيازيد الثاني ولكنه كان من الصعب عليه أن يقدم المساعدة للأندلسيين في ذلك الوقت ويكفي البعد الجغرافي للدولة العثمانية ومصر وما كان بينهما من خلافات. وفي عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م ضرب فرناندو وإيزابيلا الحصار على آخر ما تبقى من معاقل المسلمين في الأندلس، غرناطة.

عانى الأندلسيون أشد المعاناة جراء هذا الحصار الذي دفعهم لأكل القطط والكلاب بعدما حرق القشتاليون مرج غرناطة وحقولها فتقطعت بهم السبل وفقدوا الأمل في الحصول على أي إمدادت من خارج المدينة المحاصرة مما دفع حاكم غرناطة لذبح الخيول التي كان يستخدمها الجنود في القتال فلم يتبق منها سوى ثلاثمائة فرس من أصل سبعة آلاف. اجتمع آخر حكام غرناطة السلطان أبو عبد الله محمد الصغير بقواده ووزرائه الذين أقنعوه بضرورة التسليم وأنه لم يعد لديهم ما يدافعون به عن المدينة أو الإغارة على القوات القشتالية المحاصرة، وأن الشعب لن يستطع تحمل الحصار أكثر من هذا.

ومع سقوط مالقة القريب وانتقام فرناندو بوحشية من أهلها لم يجد أبو عبد الله الصغير إلا أن يسلم المدينة ويعمل قدر المستطاع على توفير الحياة الكريمة للغرناطيين وتأمين حياتهم وأموالهم وعبادتهم من خلال معاهدة تسليم غرناطة التي تضمنت ستة وخمسين بندًا تدور كلها حول الحفاظ على حقوق المسلمين وتم التوقيع عليها في ٢١ محرم ٨٩٧ هـ/ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٤٩١ م وللأسف نقضت هذه المعاهدة من قبل فرناندو وإيزابيلا بعد أعوام قليلة.

وفي يوم الثاني من ربيع الأول ٨٩٧ هـ الموافق الثاني من يناير سنة ١٤٩٢ م تم تسليم المدينة لفرناندو وإيزابيلا، وغادر أبو عبد الله الصغير وأهله ولم توبخه والدته ولم تقل له ابك كالنساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه كالرجال.

فهذه الجملة الشهيرة ما هي إلا من وحي خيال المؤرخ أنطونيو دي غيفارا أسقف قادش حيث أراد تلميع صورته في

أعين الإمبراطور شارل الخامس الذي كان في غرناطة لقضاء عطلة بمناسبة زواجه فرواها له سنة ١٥٢٦ م وللأسف تناقلتها بعض الأقلام العربية دون تدقيق، وما يؤكد أن هذه القصة ليس لها أساس من الصحة أن أبا عبد الله لم يمر عبر الطريق القديم بين غرناطة ومتريل بل إنه توقف مرة واحدة لمشاهدة غرناطة من بعض المرتفعات الجبلية للبدول من باب المنار وتوجه بعدها إلى أندرش عن طريق البشرات أما من زفرة المورو ذاك الموضع الذي يعرف بزفرة العربي الأخيرة فلا يمكن رؤية الحمراء من هناك.

بالتأكيد أبو عبد الله محمد لم يكن في عزم وشجاعة ذكاء أجداده مثل محمد بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة ولكنه كان قد ورث مملكة تلفظ أنفاسها الأخيرة، بالإضافة إلى تفوق التسليح في جيش النصارى.

الأندلسيون بعد سقوط غرناطة حتى قرار الطرد:

قبيل سقوط غرناطة في عام ٨٧٩ هـ ١٤٧٤م منح البابا سيكتوس الرابع الملكين الكاثوليكيين فرناندو إيزابيلا حق إنشاء محاكم التفتيش ضد اليهود المتنصرين وكان يهود قشتالة وليون في عهد هنري الثالث ملك قشتالة قد تعرضوا للكثير من الاضطهاد وأجبروا على التنصر وتم قتل الكثير منهم.

كان توماس دي توركويمادا أول محقق في محاكمالتفتيش وكان اسمه مرادف للوحشية والتعصب وكان يستخدم التعذيب ومصادرة الأموال وحرق الضحايا وحرق كتبهم، وفي مارس ١٤٩٢ أصدرت إيزابيلا بتحريض من توركويمادا قرارًا يخيّر

اليهود بين التنصر أو النفي وتم طرد ١٦٠٠٠٠ يهودي.

أما عن المسلمين في غرناطة ففور دخول الملكين الكاثوليكيين إلى غرناطة قاما بتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة كما جرت العادة وفي عام ١٤٩٩ م أرسلت إيزابيلا الكردينال خمينيس إلى غرناطة وبدأ في سياسة التنصير وقمع المسلمين وقام بتعذيب البعض لإجبارهم على التنصر كام قام بإحراق حوالي مليون مخطوطة عربية وإسلامية وقام بحرق نسخ المصحف الشريف في ساحة باب الرملة مما أدى إلى ثورة البيازين الأولى وثار بعض المسلمين الذين لجأوا إلى منطقة البشارات، وأمر فرناندو وإيزابيلا بالتصدي بقوة وعنف للقضاء على هذه الثورة وقمعها كما أمروا بهدم المساجد، وفي ١٢ فبراير عام ١٥٠٢ أصدرت إيزابيلا مرسومًا يخير المسلمين بين التنصر أو الرحيل فرحل حوالي ٣٠٠.٠٠٠ مسلم وعبروا نحو شمال إفريقيا ومصر والشام والقسطنطينية، وأظهر البعض الآخر الموافقة على التنصر ولكن أبقوا على إسلامهم سرًا وأطلق عليهم اسم الموريسكيون وكان القشتاليون يسمون المسلمين بالمورو أما الموريسكيون فهم المسلمون الذين قبلوا بالدخول إلى المسيحية، وبعد عامين من إصدارها هذا القرار ماتت إيزابيلا ثم استكمل زوجها فرناندو قمع المسلمين فأصدر قرارًا عام ١٥٠٨ بمنع الأندلسيين من التحدث بالعربية ومن ارتداء الملابس العربية ومنع أي مظاهر تخص التقاليد والعادات الإسلامية والعربية.

وتم تنصير المدجنين وهم المسلمون الذين بقوا في مدنهم تحت حكم الملوك المسيحيين قبل سقوط غرناطة وكانوا يتمتعون بحرية العبادة وبقوا على دينهم الإسلامي ولكن بعد

قرارات التنصير أجبروا مثل باقي المسلمين على التنصر.

وفي عام ١٥٢٦ م صدر من الإمبراطور شارل الخامس مرسومٌ آخر يؤكد على مرسوم عام ١٥٠٨ بمنع الموريسكيين من استخدام اللغة العربية وعدم التسمية بأسماء عربية ومنعهم من استخدام الحمامات العامة، وتراوحت سياسة شارل بين اللين والشدة وكانت أقل تعسفًا عما كانت عليه أيام فرناندو وإيزابيلا إلا أن المسلمين كانوا عرضة دائمًا لملاحقة محاكم التفتيش التي أحرقت عددًا من المسلمين في عام ١٥٢٩ بتهمة الهرطقة، وتولى الحكم بعد شارل ابنه فيليب الثاني الذي أصدر قرارًا في سنة ١٥٦٣ بمنع الموريسكيين من حمل السلاح فاعترضوا على هذا القرار إذ كان السلاح شيئًا أساسيًا لدفاعهم عن أنفسهم ضد اللصوص وقطاع الطرق خاصة من كانوا يقطنون في أماكن نائية، ثم يُصدر في عام ١٥٦٧ قرارًا آخر بمنع التحدث بالعربية أو ارتداء الملابس العربية، وذلك لأن القرار الأول لم ينفذ بشدة فبقي عدد من الموريسكيين يحتفظون بلغتهم وثيابهم العربية خاصة في بلنسية وغرناطة.

أدت هذه الإجراءات القمعية إلى اندلاع الثورة الأندلسية الكبرى ثورة البشرات أو كما يسميها الإسبان حرب غرناطة من عام ١٥٦٨م حتى ١٥٧١ م واستمرت الحرب ثلاث سنوات انتهت بهزيمة المسلمين وبعدها كان قرار الطرد في التاسع من إبريل عام ١٦٠٩ م الذي أصدره الملك فيليب الثالث وفي شهر سبتمبر وصل آلاف الجنود الإسبان إلى ساحل مدينة بلنسية ودانية وأليقنت وأعلن عن قرار الطرد رسميًا في يوم ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩ وفي الثاني من شهر أكتوبر أبحرت أول سفينة من ميناء دانية تحمل على متنها ٣٨٠٣ شخص، واستغرقت عملية الطرد خمس

سنوات حتى عام ١٦١٤م ورحل الموريسكيون في السفن إلى شمال إفريقيا ومصر والشام وتركيا وبلغ عدد المطرودين حوالي ٣٠٠.٠٠٠ موريسكي، ولكن استطاع بعضهم البقاء والحفاظ على دينهم سرًا ففي عام ١٧٦٩ عثر على مسجد سري لمسلمين يخفون إسلامهم بعد أكثر من ٢٥٠ عامًا من الاضطهاد والقمع وفرض التنصر.

كان فرض التنصر على الأندلسيين أمرًا بالغ القسوة وإخلالًا بمعاهدة تسليم غرناطة وكانت القيود التي فرضت على الأندلسيين المتنصرين لطمس هويتهم العربية والإسلامية في منتهى الجور والظلم فمنعوا من التحدث بالعربية وألزموا بتعلم اللغة القشتالية، وتم منعهم من ارتداء ملابسهم العربية الأندلسية ومنعهم من تناول بعض أصناف الطعام بل وإجبارهم على شرب الخمر وأكل الخنزير وترك أبواب منازلهم مفتوحة يوم الجمعة لتسهيل عمل رجال محاكم التفتيش، وتم منعهم من الذهاب للحمامات العامة وبالرغم من كل هذا حاولوا قدر المستطاع التمسك بدينهم وعبادة الله سرًا بالصلاة والصيام كما استطاع القليل منهم الذهاب لأداء فريضة الحج مثل الحاج لبواي مونسون الذي كان يعيش في أراغون واستطاع الذهاب إلى الحج في أواخر القرن السادس عشر. وخلد رحلته من خلال هذه الأبيات:

لقد سافرت بفرح .. بعيدًا عن كل أقاربي.. للتحول إلى أرض العرب .. لإتمام فريضة الحج .. الذي هو فريضة هامة ..من شأنها أن تغسل كلآلام .. من يقوم بمثل هذه الرحلة

الأسرة والمنزل الأندلسي

الأسرة الأندلسية:

تعد الأسرة اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع وقد حث الإسلام على الزواج فلا رهبانية

وفي الأندلس المسلمة كان الأندلسيون يحرصون على تزويج أبنائهم وبناتهم في سن مبكرة كما جرت العادة في زمنهم وكان الرجل في العادة لا يتزوج أكثر من امرأة واحدة أما ميسور الحال منهم فكانت له جارية يتسرى بها أو عدة جوارٍ. وحتى بعض ملوك وأمراء الأندلس كانوا يفضلون الزواج من زوجة واحدة مع التسري بالجواري، وقد استكثر أمراء بني أمية من الجواري الشقراوات وكانوا يفضلونهن عن غيرهن، وفيهن قال الإمام ابن حزم «وأما جماعة بني مروان رحمهم الله ولا سيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة لا يختلف في ذلك منهم مختلف»

وقد أطلق الناس على الأمير المنذر ابن القرشية لتفرده بكونه قرشي الأب والأم معًا أثرت الأصول القبلية لدى المسلمين الفاتحين من عرب وأمازيغ في اختيار الزوج فكانوا يفضلون أن يكون من نفس القبيلة التي ينتمون إليها وإن كان من نفس العائلة فذلك أفضل، وجرت العادة في الكثير من الأسر على تزويج الفتاة من ابن عمها، ومع ذلك كانت تحدث بعض الزيجات المختلطة وزيجات بالنصرانيات وخاصة في بداية الفتح الإسلامي حيث كان الفاتحون جنودًا أتوا للجهاد بدون أسرهم ومن أشهر هذه الزيجات زواج الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة لذريق، وزواج عيسى بن مزاحم من

سارة حفيدة الملك القوطي غيطشة من ابنه آلموندو، وقد كانت طوطة ملكة البشكنس والوصية على عرش نافارا «نبرة» عمة الخليفة عبد الرحمن الناصر عن طريق جدته دُرَ إذ أن أباه محمدكان أخًا لطوطة من الأم ودُرَ هي أنيجا ابنة فرتون وكانت قد تزوجت في صباها من آمير من نافار هو إثنار سانشو وآنجبت منه طوطة ثم تزوجت بعد ذلك من الأمير عبد الله وآنجبت منه محمد والد عبد الرحمن الناصر.

وفيما بعد انتشر الزواج المختلط آكثر وتخلى الأندلسيون عن جزء من تشددهم في ذلك الأمر.

الخطبة:

عرف الأندلسيون مهنة الخاطبة التي كانت تقصدها والدة الشاب أو الفتاة وتذكر لها صفات ومميزات ابنها والمواصفات التي يفضلها في زوجة المستقبل وتبدأ الخاطبة في رحلة البحث فإذا توافقت هذه المواصفات اختاروا يوم الجمعة الذي كان اليوم المفضل لديهم لزيارة آهل العروس، وتلتقي السيدات آولًا ثم تتم الخطبة من والد العروس، وقد يسعى بعض الأصدقاء في ترشيح عروس لأحد الراغبين في الزواج وفي بعض الحالات كان الأب لا يرى غضاضة في التلميح أو طلب تزويج ابنته من رجل يعرفه ووجد بعض الخصال الحميدة.

وكان من أهم شروط المرأة الأندلسية أو وليها في الزوج أن يكون ذا صنعة يضمن بها عيش العائلة. وآهم شروط الزوج في زوجته آن تكون ذات آصل وحسب ونسب طيب وآن تكون حسنة الأخلاق ولكن لا يمنع آن آغلبية الرجال كانوا ينجذبون لجمال المرآة آكثر من آي شيء آخر، وعزف بعض الرجال عن

الزواج في بعض الفترات التي كان الناس يغالون فيها في مهور بناتهم وفضلوا التسري بالجواري على الزواج.

المهر «الصداق» وجهاز العروس :

كان الزواج في الأندلس لا يختلف عن البلاد الإسلامية الأخرى من صداق العروس عاجلًا وآجلًا أو يعدل كله، وكان يتم تحديده على حسب الطبقة الاجتماعية للعروسين، وكان أقل مهر هو ربع دينار وبعض الرجال بالغوا في المهور وكان المهر قد يبلغ قرية بأكملها يهديه الزوج لزوجته كصداق لها، ثم يأتي تجهيز منزل الزوجية وتحضير جهاز العروس وكانت العادة في الأندلس أن يقوم الأب والأم بتجهيز ابنتهما من أموالهما الخاصة وأحيانًا كان الأب يجهز ابنته من مهر الزوج، وقد جاء في أحد التراجم أن أحد أصدقاء الطبيب أبي بكر زهر قد اعتراه الهم والحزن بسبب حاجته إلى ثلاثمائة دينار لتجهيز ابنته، وكانت بعض الأمهات تضطر أحيانًا إلى بيع كل ما يملكن لتجهيز بناتهن .

وقد جاء ذكر بعض من هذا في كتاب طوق الحمامة للإمام ابن حزم فقال: «وإنك لترى المرأة الصالحة المسنَة المنقطعة الرجاء من الرجال وأحب أعمالها إليها وأرجاها للقبول عندها، سعيها في تزويج يتيمة وإعارة ثيابها وحليها لعروس مُقلة»

وكان شوار العروس يتكون من الأقمشة المتنوعة من ديباج وحرير وقطيفة وكتان وملابس وأردية متنوعة من غطاء الرأس حتى القدم وصناديق خشبية مطعمة بالصدف والعاج لحفظ الملابس وأدوات الزينة من مكاحل وأمشاط مصنوعة من العاج أو الخشب المطعم بالصدف والعاج وعطور ومساحيق

تزيين النساء التي كانت تسمى الطلاء، وبعض الحلي من ذهب وفضة وأحجار كريمة، وأدوات الطهي من أوانٍ فخارية ونحاسية وصحون مزججة وطسوت فضية وملاءات ولحافات ووسائد وغيرهم من لوازم المنزل. وكانت كل أسرة تقوم بتجهيز بناتهم حسب مكانتهم الاجتماعية.

وأما شروط إتمام الزواج يطلعنا عليها أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف في رسالته في آداب الحسبة والمحتسب عن قوانين النكاح فيذكر شروط إتمام الزواج، ومنها أن يكون الزوج كفؤًا للزوجة وأن لا تنكح المرأة دون إذن وليها ولا يجوز النكاح بغير ولي بكرًا كانت أو ثيبًا بحضور شاهدي عدل وصداق. وكان زواج المتعة وزواج السر محرمًا ومن يفعل ذلك يتعرض للعقوبة ومن القوانين التي وضعها القضاة في هذا ألا يدلس الأب على الزوج فيعرض عليه الكبيرة على أنها الصغيرة أو العكس.

ويعاقب الرجل الذي يتزوج ليكون محللًا لغيره، ويؤمر الرجل الذي له زوجتان أن يعدل بينهما في الملبس والمطعم والمبيت وألا يفضل واحدة منهما على صاحبتها، وكان للمرأة الأندلسية بعض الشروط التي تختارها وتسجلها في العقد مثل ألا يتزوج زوجها بأخرى وبعضهن اشترطن على أزواجهن عدم التسري بالجواري وكان للزوجة أن تشترط بأن تدير شؤونها المادية بنفسها خاصة إذا كانت من الطبقة الأرستقراطية وبعض الشروط الأخرى منها حقها في زيارة أهلها وزيارة أهلها لها، أو ألا يغيب عنها زوجها فترات طويلة متصلة في السفر مثلًا، ويوضع في العقد حد أقصى حوالي ستة أشهر لغيابه إن كان ذاهبًا للحج عن نفسه، ومن تتزوج برجل ميسور الحال كانت تشترط عليه أن يحضر إليها خادمة تساعدها في أعمال المنزل،

ومنهن من اشترطت أن يكون لها الحق في تطليق نفسها وكذلك كانوا يعملون بطلاق الخلع وهو أن تخلع زوجها مقابل رد ما قدمه لها من صداق أو غيره حسبما يتم الاتفاق عليه.

وكان عقد زواج المسلم الأندلسي بالمرأة الكتابية لا يختلف عن عقد زواج المسلمة فإن كان لها ولي حضر العقد وإن لم يكن لها، يعقد نكاحها أساقفة أهل دينها.

حفلات الأعراس:

بعد الانتهاء من ترتيبات الزواج وتجهيز العروس كانتتقام حفلات الأعراس التي قد تمتد من ثلاث إلى سبع ليالٍ، وكان الأندلسيون يفضلون أن يكون العرس يوم الأحد أو يوم الخميس ومن الأوقات التي كانوا يفضلون إقامة العرس فيها وقت عيد النيروز وهو احتفال بمناسبة بداية شهر الربيع ولا يقيمون الأعراس في شهر رمضان ولا في الشتاء، ولا في يوم عاشوراء، كما كان بعض الأندلسيين يعتقدون في الطيرة والتنجيم وكانوا يلجؤون إلى العرافات لاختيار الوقت المناسب لإقامة العرس، وبعض الأسر كانت تمنع الأرامل من السير في موكب العروس باعتباره نذير شؤم.

ويذكر في كتاب أحد المؤرخين وصف موكب عروس فقال «إنني رأيت موكب عرس يمر في شوارع قرطبة يظهر بينها جالسًا في كرسيه الناقوري صانع المزمار يضع فوق رأسه قلنسوة ويرتدي جلبابًا من حرير ويمتطي جودًا عليه أطقم ظهرت في أبهى بينما يمسك بلجامه خادمه»

وكان يتوجب على أهل العروس التي ستزف خارج المدينة أن

يحصلوا على تصريح من القاضي حتى يرسل معهم حراسًا لحفظ الموكب من قطاع الطرق واللصوص.

ويودع الأهل العروسين ويتمنون لهما السعادة وراحة البال وأحيانًا ما كان يختلط الحزن بالفرح وتدمع الأعين لفراق الابنة وقرة العين.

المنزل الأندلسي:

ترك الأندلسيون العديد من الآثار الإسلاميةفي إسبانيا والبرتغال من قصور ومساجد وقلاع ومنازل وأسواق، ومن ثم انتقلت بعض المصطلحات المعمارية من اللغة العربية إلى الإسبانية والبرتغالية فنجد مثلًا كلمة القصر لا زالت تطلق على القصور الإسلامية والقصور التي بناها المسيحيون فيما بعد على أنقاض القصور الإسلامية مثل القصر الملكي بإشبيلية الذي بُني على أنقاض قصر المورق الموحدي وقصر المبارك الذي كان ابتناه المعتمد بن عباد، ففي اللغة الإسبانية تسمى هذه القصور **Alcázar** وفي البرتغالية **Alcazar** وهنالك عدة مطاعم ومقاهٍ وفنادق لا زالت تسمى باسم القصر. والقصبة أي القلعة أو الحصن **Alcazaba** والمسجد في الإسبانية **Mezquita** وفي البرتغالية **Mesquita** الشرفة **Axarfe** وعامل البناء أو البنّاء في الإسبانية يسمى **Albañil** الجص **Aljez** والخزانة أو الخزينة **Alacena** وكانت الخزانة عبارة عن تجاويف في الحائط تحفظ فيها الملابس والآنية ويغلق عليها بأبواب من الخشب وأحيانًا يحفر على هذا الخشب نقوش بأشكال نباتية لتعطي شكلًا جماليًا.

وبالحديث عن منازل الأندلسيين كما جاء ذكرها في بعض

المراجع وكتب الرحالة نجد أن منازل الأندلسيين كانت بسيطة من الخارج خالية من أي زخارف، بنيت من الطوب اللبن أو الطوب الأحمر أو الحجارة ثم كسيت بطبقة من الجص الأبيض اللامع، وقد وصف ابن سعيد المغربي المنازل الأندلسية بأنها: «في غاية الجمال لمبالغة أهلها في أوضاعها وتبيضيها لئلا تنبو العيون عنها» وقارن بينها وبين المنازل الريفية في مصر التي قال عنها: «تكدر العين بسوادها» وذلك لأنها كانت تصنع من الطوب اللبن وتكسى بالطين، وقد مدح الشقندي منازل الأندلس وقال عنها: «أما مبانيها فقد سمعت عن إتقانها واهتمام أصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجاري والأشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون وغير ذلك» وكان لا يوجد بواجهة المنازل أي فتحات سوى باب الدار المصنوع من الخشب وبعض المشربيات والمشرفيات الخشبية المصنوعة من خشب الخرط وهي ما تعرف في الشام والعراق باسم الشناشيل.

تذكر أنك حملت كتاب نسمات أندلسية مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

وقد كانت بعض الأحياء في المدينة تضم منازل لطبقات مختلفة من الأندلسيين فكانت نوعية الأخشاب المستخدمة في أبواب المنزل هي التي تميز المكانة الاجتماعية لسكان هذا البيت.

فإذا كان الباب من أجود أنواع الأخشاب أو مغشى بالنحاس أو مصفحًا بالكامل بالمعدن، يكون أصحاب المنزل من الطبقة

الأرستقراطية والأغنياء، أما إذا كان الباب مصنوعًا من أخشاب عادية فيكون أصحابه من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة، وكانت أحجام الأبواب وضخامتها تتباين بين الكبر والصغر حسب مساحة المنزل، وإذا كان البيت ذا بوابة كبيرة وضخمة كانوا يفتحون في إحدى ضلفتيه بابًا آخر صغيرًا يسمى خوخة. يستخدم في الدخول والخروج اليومي. أما إذا خرج سيد المنزل على فرسه فتفتح إحدى ضلفتي الباب، وتفتح الأبواب على مصراعيها في المناسبات وعند تخزين بعض البضائع بكميات كبيرة، وغالبًا ماكانت هذه الأبواب تغلق بمزلاج من حديد أو خشب وأحيانًا تغلق بالضبة والمفتاح وكان يوضع على الباب مطرقة أو مقرعة مصنوعة من المعدن ليدق عليها الزائرون. وكانت من قواعد البناء في المدن الأندلسية ألا يفتح باب منزل أمام باب منزل آخر حتى لا يجرح جارٌ جاره. أما أغلب منازل الأندلس فكانت أبواب منازلهم صغيرة تفضي مباشرة إلى صحن المنزل أو إلى ممر ضيق منكسر وكان من وظيفة هذا الممر حجب الرؤية عن المارين في الخارج فلا يشاهدون من بداخل الدار وكذلك كان يحجب الضوضاء التي بالخارج عن داخل المنزل. فإذا انتهينا من الممر نصل إلى صحن مكشوف أو فناء فسيح تتوسطه نافورة مياه، كما نرى في المنازل الشامية القديمة وفي بعض الأحيان كان يتواجد في هذا الصحن بئر ماء، أو جرة فخارية كبيرة «زير» للماء الذي يوصله السقاءون إلى المنازل. وأرض الصحن كانت في العادة من الحجارة وفي بعض الأحيان من الرخام حسب الطبقة الاجتماعية لأصحاب المنزل وهذا الصحن المكشوف كانت له فوائد ومهام عديدة منها إدخال الضوء والهواء إلى المنزل وفسحة للسيدات

والأطفال خاصة في فصل الصيف. وكانوا يزرعون في جنباته بعض الثمار والفواكه والزهور وتقوم فيه السيدة ببعض مهامها اليومية من الخبز لغسل الملابس وتحضير بعض الأطعمة والحياكة خاصة في الأيام المشمسة الدافئة شتاء. وفي ليالي الصيف الحارة كان أصحاب المنزل يفترشون الصحن ويبيتون فيه كما كانت النساء يستقبلن فيه الجارات والأقارب ويقمن فيه الأعراس والاحتفالات بالأعياد وغيرها من المناسبات.

وفي بعض المنازل مثل منازل مدينة قرطبة كان يوجد بالطابق الأرضي قاعة منعزلة عن البيت تقع في أحد دهاليز المنزل، لها باب يفتح من الداخل وباب من الخارج يستقبل فيها صاحب المنزل ضيوفه من الرجال وكانت هذه القاعة تسمى البرانية وهي في مصر تعرف باسم المندرة أو المضيفة، وفي منازل الأثرياء كانت تتواجد عبر الصحن ممرات ودهاليز تؤدي إلى غرف وقاعات متعددة، أما في الطابق العلوي فكانت به غرف النوم وغرفة المعيشة التي يجتمع فيها أصحاب المنزل لتناول الوجبات، وهي غالبًا الغرفة المطلة على الشارع والتي يتواجد بها المشربيات وكانت هذه الغرفة تسمى المصرية، ثم السلم الخشبي الذي يصل إلى سقف المنزل، وكانت المدن الكثيرة الأمطار يغطى سقفها بالقرميد المنحني لعزل مياه الأمطار عن المنزل.

وبعض المنازل الأندلسية كانت تتكون من طابق واحدفكان الصحن يحاط من جهتين بممرات ذوات أعمدة من الطوب أو الرخام تحمل السقف ومن خلال هذه الممرات تتواجد غرف النوم وقاعات المعيشة والاستقبال.

وانتشرت المشربيات في المنازل الأندلسية في القرن الثالث عشر والرابع عشر خاصة في مدينة غرناطة ويقال أنها انتقلت إليهم من مدينة القاهرة ودمشق، وأعجب بها المسيحيون حتى أنهم نقلوها في دورهم ومنازلهم في عدة مدن مثل مملكة أراغون، كما استخدموها في بعض أديرة مدينة طليطلة مثل دير سانتا إيسابيل لاريال وديلا مادري دي ديوس وغيرهم، وانتشرت المشربيات الطائرة كذلك في البرتغال وعرفت باسم ال- **Adufa**. وهي مشتقة من كلمة الدفّة العربية وكانت منتشرة في عدة مدن برتغالية مثل شنتمرية الغرب وباجة وبرغش وكانت وظيفتها نفس وظيفة المشربيات والمشرفيات في المنازل الأندلسية، فحياة المرأة المسيحية في العصور الوسطى كانت مشابهة لحياة المرأة المسلمة فقد كانت تقضي معظم وقتها داخل المنزل وإطلالتها من خلال هذه المشربيات هي فسحتها لتسرى عن نفسها بمشاهدة العالم الخارجي .

الأثاث:

كان الأثاث الأندلسي بسيطًا وخفيفًا يسهل طيه ونقله من غرفة إلى أخرى فالأرض تفرش بالحصير ثم يفرش فوقه السجاد المصنوع من الصوف السميك أو الخفيف، وكانت الحوائط في غرف المعيشة أو الاستقبال تزدان بالبسط الملونة المصنوعة من الصوف الخفيف أو من الحرير وكانت تسمى الحائطي، وكانت هناك مساحة للمجلس ترتفع قليلًا عن الأرض تفرش بوسائد المحشوة بالصوف والمغطاة بالقطيفة وعدد آخر من الوسائد الصغيرة مطرزة بأشكال رقيقة ووسائد أخرى من الجلد وعند الجلوس للطعام كانوا يجلسون على كراسي صغيرة ترتفع قليلًا عن الأرض وتوضع أمامهم منضدة مستديرة ذات

أرجل قصيرة كانت تسمى تيفور، أما غرف النوم ففوق السرير الخشبي يفرش الحصير ثم توضع حشية «مرتبة» وكانت تسمى مضربة وأحيانًا كانت الحشية تكون من الجلد فكانت تسمى مطرح وفوق المرتبة توضع الملاءة وكانت تسمى آزار ثم الوسادة «المخدة» التي انتقلت إلى اللغة الإسبانية باسم **Almohada** ثم لحاف من الكتان المغطي بالصوف وبطانية من الصوف، وكان السرير مرتفع كثيرًا عن الأرض ليكون حماية لهم من الحشرات أو الفئران والعقارب، وعند النوم يغطى السرير بستارة مصنوعة من نسيج رقيق لحماية النائمين من قرص الناموس وإزعاج الذباب وهي ما تسمى الناموسية.

أما الملابس فكانت تحفظ في صندوق مصنوع من خشب الصنوبر مزين بالصدف أو العاج وقد تم إحصاء ممتلكات الملكة إيزابيلا وكان من ضمنها صناديق فاخرة مزخرفة بالصدف والعاج استولت عليها من مملكة غرناطة.

وعن وسائل إضاءة المنزل كانوا يستخدمون القناديل المصنوعة من الفخار أو البرونز والشموع وفي منازل الأغنياء كانوا يستخدمون الثريا المصنوعة من البرونز والتي يوجد بها مكان لوضع الشموع أو أوعية تملأ بالزيت. ولا زالت بقايا هذه القناديل والثريات معروضة في متاحف إسبانيا مع غيرها من الآثار الإسلامية لتبقى شاهدة على رقى الفن الأندلسي وإبداع الفنان الأندلسي.

المطبخ الأندلسي

مقدمة:

ماذا كان يأكل الأندلسيون؟ ما هي وصفاتهم المميزة؟ كيف كانت مطابخهم؟ وما هي الأدوات التي كانوا يستخدمونها في طهي وتقديم الطعام؟ هل بعض أصناف الطعام الإسبانية التي نشاهدها اليوم لها جذور أندلسية؟

بعض هذه التساؤلات ربما تراودنا عندما نقرأ عن الأندلس، لا شك أن التنوع السكاني في الأندلس أثر على الكثير من مناحي الحياة الاجتماعية ومن ضمنها تنوع وتعدد أصناف وألوان الطعام فبجانب الإيبريون كان هنالك الفاتحون من عرب وأمازيغ وكذلك الوافدون عليها من المشرق، أثرى هذا التنوع المطبخ الأندلسي بعدة أصناف من الطعام فنجد مثلًا بعض أصناف الطعام الأمازيغية مثل الكسكس أو الكسكسو الذي أصبح وجبة محببة لدى الأندلسيين، وصنفًا آخر من الطعام اسمه الصنهاجي نسبة لقبيلة صنهاجة الأمازيغية، واللمتونية نسبة لقبيلة لمتونة، وبعض الأصناف العربية كالثريد، وعدة أصناف تسمى المشرقية، والفروج المصري والمركاس المصري ومن أصناف الحلوى نجد الحلاوة الشامية والقاهرية والتركية.

ومن الأطعمة التي أدخلها المطرب الشهير زرياب إلى الأندلس من المطبخ العباسي نجد الثريد العباسي والقطائف العباسية والتفايا وهي نوعان البيضاء والخضراء، وتعرف في المشرق باسم اسفيدباجة وعدة أصناف أخرى، كما قام الأندلسيون باستخدام بعض وصفات المسيحيين واليهود وقاموا بإعدادها بطريقة تلائم تعاليم الإسلام، فقد ذكر مؤلف كتاب الطبيخ في

المغرب والأندلس عددًا من الأكلات اليهودية مثل الحجلة اليهودية والفروج اليهودي، وهناك بعض الأكلات التي تسمى صقلبية نسبة للصقالبة

أما عن مهام الطهي فنجد في الأسر المتوسطة والفقيرة كانت ربة المنزل هي من تقوم بإعداد الطعام، وفي الأسر الغنية والأرستقراطيةكانت الخادمات هن من يقمن بهذه المهمة، وفي المناسبات الخاصة كالأعراس وحفلات الختان، كان يتم التعاقد مع أحد الطباخين المحترفين لإعداد الولائم.

وكانت الأسواق الأندلسية تعج بحانات الطهي التي تباع فيها المشويات والمقليات من لحوم وطيور وأسماك ومجبنات، والهريسة المعدة من لحم الغنم وجريش القمح،كما كانت الأسواق تضم أعدادًا كبيرة من صناع الحلوى مثل الإسفنج والمسمنات والكعك. وباعة الأطعمة المختلفة من مجبنات وفطائر ومركاس وبنادق وكبد خراف بالزبد وكانوا يستميلون الزبائن بالمناداة على مأكولتهم ومدحها.

رغم قيمة الكتب التي تناولت فنون الطعام وطرق الطبخ ووسائله إلا أن المصادر الخاصة بالطعام الأندلسي قليلة، فلم يصل إلينا سوى كتابين، الأول كتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان لابن رزين التجيبي والثاني كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين لمؤلف مجهول يرجح أنه كان أندلسيًا عاصر عهد الموحدين قبل سقوط قرطبة، وقام بتحقيق هذا الكتاب أمبروزيو أويثي ميراندا.

المطبخ الأندلسي:

كان المطبخ يحتل مكانًا صغيرًا في المنزل الأندلسي بداخله أفران طينية مثل التي نشاهدها في المدن الريفية تستخدم في الطهي وفي الخبز، وبجانب هذه الأفران هنالك الموقد المتحرك والثابت وهو يشبه الكانون، أما التنور فهو نوع من أنواع الأفران الطينية أسطوانية الشكل أصلها من العراق، يخبز فيها الخبز وغيره من الأطعمة واللحوم يتواجد في ركن خاص داخل المطبخ أو خارجه، وكانت الأفران تشعل عادة باستخدام الفحم الخشبي، وفي منازل الأغنياء كانت الأفران من الحجر أو الرخام.

ولم يكن في المطبخ الأندلسي مكان لحفظ أدوات المائدة وآنية الطعام فكانت توضع في صناديق صغيرة من خشب الصنوبر أو في تجاويف محفورة في الحائط، أما عن أدوات الطهي فكان الأندلسيون لا يقومون بالطهي في الآنية الفخارية أكثر من مرة واحدة ثم تكسر أما الآنية الفخارية المزججة ذات السطح الأملس فكان لا يطبخ فيها أكثر من خمس مرات وذلك من شدة حرصهم على النظافة وكانوا لا يحبذون الطهي في الأواني النحاسية بل يفضلون الطهي في آنية من الحديد على أن تغسل جيدًا وتحفظ من صدئها وكذلك استخدموا الأواني المصنوعة من القصدير والرصاص، وكانت الأواني التي توضع فيها الأطعمة بعد طهيها تغطى بأغطية ذات ثقوب تسمح بخروج الأبخرة فقد كان هنالك اعتقاد بأن هذه الأبخرة إذا حبست قد تسبب آثارًا سامة.

ولم يقتصر استخدام المطبخ على طهي الوجبات اليومية بل

كان تصنع فيه أيضًا الأجبان واللبن الرايب والزبد والزيت والمخللات ولحم القديد والسمك المملح وغيرها مما نسميه خزين البيت آو المونة.

أما الشراب فكانوا يستخدمون فيه الكؤوس الزجاجية ويرجع الفضل في هذا إلى المطرب الشهير زرياب الذي نقل عادات أهل العراق إلى الأندلس وحثهم على استبدال الأكواب المعدنية بالأكواب الزجاجية لأنها الأفضل صحيًا والأسهل في التنظيف وأجمل شكلًا، كما كان له دور في ترتيب تقديم الطعام بالبدء بالبوارد والمقبلات، ثم الأطباق الرئيسية من لحوم وخضروات، ثم الحلوى والفاكهة وكما فضل فرش موائد الطعام بالجلد الرقيق ليسهل تنظيفه من بقايا الطعام والحفاظ على المائدة نظيفة وفي نفس الوقت يعطي شكلًا جماليًا للمائدة.

الطعام الأندلسي:

تميز الطعام الأندلسي بتعدد طرق إعداده فبالرغم من تشابه أصنافه مع المطبخ العربي بشكل عام والمغربي بشكل خاص، حتى في أسماء بعض الأطعمة وطرق إعدادها، إلا أنهم أبدعوا بشكل غير مسبوق في طبخ الصنف الواحد بعدة طرق فنجد الكسكس له أكثر من عشر وصفات، والثريد الذي صنعوا منه أكثر من عشرين صنفًا، ونجد عشرات الوصفات لطهي كافة أنواع اللحوم والطيور والأسماك، وكذلك المجبنات صنعوا منها صنفان حلو وعاذب، ومن صور تنوع المطبخ الأندلسي نجد العديد من أصناف اللحوم ما بين اللحم البقري ولحم العجول والأغنام .

كما ولع الأندلسيون بالصيد، خاصة وأن الأندلس بها الكثير من

الجبال الخضراء والغابات فنجد وصفات لطهي الغزلان والوعل والأرانب البرية كما كانت لديهم وصفات طهي الجراد.

أما أكثر الخضروات والبقوليات التي تفنن الأندلسيون بطهيها بعشرات الطرق المختلفة فهي الباذنجان والسفرجل واللفت والجزر والخرشوف والزيتون والهليون «الإسفرج» والقرع «اليقطين» والكمأة والقلقاس والخس والفول الأخضر واليابس والسبانخ والحمص والعدس، أما الأرز فكان استخدامه قليلًا إلا في شرق الأندلس مثل مدينة بلنسية ومرسية حيث كثرت فيهما زراعة الأرز ولقد أحبه الأندلسيون مطبوخًا باللبن والملح والزبد في الفرن وهو مثل برام الأرز أو الأرز المعمر في مصر.

حرص الأندلسيون عند إعداد أكثر من صنف في الوجبة الواحدة أن تكون الأصناف متوافقة فليس من حسن الذوق تقديم نوعين ليس بينهما توافق، وكانت هناك أصناف معقدة في تحضيرها وأصناف بسيطة التحضير فكانوا يطلقون على هذه الأصناف البسيطة مثل التفايا البيضاء اسم تفايا ساذجة والكعك الخالي من الحشو كان يسمى كعكًا ساذجًا وغيرهما من الأصناف.

كما استخدموا في وصفاتهم مزيجًا متنوعًا من التوابل مثل القرفة والمصطكي «المستكة» والقرنفل والكزبرة الخضراء والجافة والفلفل والكمون والزنجبيل والزعفران والزعتر والمرّي واستخدموا اللوز الصحيح والمدقوق بكثرة أثناء الطهي كما زينوا أكلاتهم بالجوز واللوز والفستق والصنوبر، مما أضفى على أكلاتهم نكهة خاصة

الخبز :

كان الخبز من الأغذية الرئيسية في الأندلس فبجانب تناوله مع الأكلات المختلفة فقد كان مادة أساسية في صنع الثريد، وكانوا يضيفون فتات الخبز المطحون والمغربل على المرقة لصنع أنواع من الحساء وصنعوا من فتات الخبز صنف حلو بالحليب والسكر.

كان الأندلسيون يفضلون القمح في صناعة المخبوزات وكان السلاطين في بعض الأحيان يضطرون إلى استيراده لتغطية حاجة الشعب، خاصة في مملكة غرناطة، واستخدموا جشيش القمح وهو القمح المدشوش في صناعة جشيشة القمح بالماء أو الحليب. أما أهل البادية والفقراء فكانوا يخبزون بالذرة والشعير، وفي أوقات القحط كانوا يصنعون الخبز من طحين بعض البقول والخضر الجافة.

كان أول أعمال ربّة المنزل في الصباح الباكر هو إعداد عجين الخبز، بعض الأسر كانت تقوم بالخبز داخل المنزل والبعض الآخر كانوا يرسلون العجين ليخبز في الأفران العامة فيرسل صاحب الفرن صبيًا في أوقات محددة في الصباح لجمع ألواح العجين ثم إعادتها بعد خبزها. كما كان يمكن شراء الخبز الجاهز من الأفران والأسواق.

المجبّنات:

المُجبّنات هي نوع من أنواع العجين يُحشى بالجبن أو يخلط بالدقيق أثناء العجن ثم يُقلى في الزيت، وهو نوعان الحلو وهو الذي يسقى بالقطر بعد القلي أو العاذب الذي يصنع من الجبن

العاذب أو الجبن والبيض ولكن بدون إضافة القطر، والمجبنات تشبه إلى حد ما القطائف وحلوى الدونتس الغربية وكان الأندلسيون يفضلون تناول المجبنة ساخنة في وجبة الفطور وقالوا عن ذلك في أمثالهم الشعبية: «مجبنة الظهر خرج نارها وقل طلابها» بمعنى أن المجبنة التي بقيت لوقت الظهيرة تصبح باردة ويقل الطلب عليها. وكانت مدينة شريش مشهورة بالمُجبّنات فقالوا في الأمثال: «من دخل شريش ولم يأكل من مجبناتها محروم»

كما كانت المجبنات حاضرة في الأعراس وحفلات الختان وأثناء الخروج للتنزه في الحقول أو على ضفاف الأنهار كما كانوا يتهادون بها. ويبدو أنها كانت من الأكلات الشعبية المحببة لدى الأندلسيين فقد ذكروها في أمثالهم الشعبية ونظموا فيها أبياتًا من الشعر مثل شعر ابن مطرف الغرناطي الذي شبهها بالقمر وقال:

وكمْ من مجبّنةٍ هام الفؤاد بها قدمًا

وصورتها من أحسنِ الصورِ

كأنها البدر في تدويرها

فإذا شقت على النصف كانت شقة القمر

وما زالت كلمة المجبّنة تطلق في إسبانيا ودول أمريكااللاتينية على المخبوزات المصنوعة من الدقيق والجبن تحت اسم الموخابنة **Almojabana.**

طرق طهي اللحوم:

رغم تعدد الأذواق في الشعب الواحد ولكن لكل شعب ذوقه الخاص في طبيعة الطعام الذي يفضله والذي يتميز به عن الشعوب الأخرى فمثلًا كان اللحم البقري ولحم الأغنام والحملان والجديان من اللحوم المفضلة عند الأندلسيين، يأتي بعدها الطيور والأرانب ثم الأسماك، وهنالك بعض الأصناف كانت تصلح لاستبدال مكوناتها ما بين لحوم أو طيور وبعض الأطعمة مثل المروزية كانوا يفضلون أن تطهى باللحم البقري ولكن يصلح طهيها بالدجاج والتفايا مثلًا كانت تصنع من اللحم البقري أو الدجاج والأسماك ولكنهم كانوا يفضلونها بلحم الغنم.

وهناك عشرات الوصفات لطهي اللحوم باختلاف أنواعهاما بين المركاس وهي النقانق أو السجق، والبنادق وهي كرات اللحم المفروم والعصبان وهي الأمعاء المحشية بالأرز والتوابل وأصناف من الكرشة ورؤوس الغنم وأصناف من ذيل البقر ولسان الثور الذي كانوا يسمونه أبا خريش وغيرها من الوصفات الغنية التي تميز بها الشعب الأندلسي.

اللحم البقري:

من الأشياء اللطيفة التي نتعرف عليها من خلال القراءة في كتب الطبخ الأندلسي هي معرفة الذوق العام للأندلسيين، فقد كانوا مثلًا يفضلون اللحم البقري عن لحم الضأن عكس دول المشرق ولا نعرف هل هذا كان منتشرًا قبل دخول المسلمين للأندلس أم بعده فهنالك وصفات كثيرة ومتنوعة في طرق طهي اللحم البقري ومن هذه الأصناف البرانية والجملي والمثلث والأرنبي والراهبي هذا غير الأصناف المتعددة التي كانت تصنع

من اللحم البقري المفروم التي عرفت باسم البنادق ولعل أشهر الأطعمة المصنوعة من اللحم البقري هي المروزية ربما لأنها مازالت حاضرة في المطبخ المغربي وإن اختلفت الطريقة قليلًا، وهي من الأكلات المفضلة في المغرب في عيد الأضحى.

المروزية:

يؤخذ من اللحم بقدر الحاجة ويوضع في القدر بدون ماء ويضاف إليه زيت الملح والفلفل وكزبرة يابسة وكمون وحمص ولوز مقشر وحبات من الثوم وقليل من البصل المقطع وورق أترج، ويقلب اللحم حتى يبيض لونه ثم يضاف الماء ويترك على النار، ثم يؤخذ طاجن من الفخار المزجج ويوضع فيه خل وزبيب وفاكهة عيون البقر ويسخن الخل مع الفواكه بوضع الطاجن فوق قدر اللحم حتى إذا بدأت الفاكهة في الاستواء توضع في القدر مع اللحم ويضاف الزعفران ويترك على نار هادئة حتى ينضج اللحم ويحمر لونه ثم يقدم في صحن كبير وترش عليه القرفة والزنجبيل ..

لحم الغنم:

لعل أشهر الأطباق التي أعدت من لحم الغنم في الأندلس هي التفايا البيضاء والخضراء، وأصناف أخرى اكتسبت اسمها من نوع الخضروات المطهوة معه مثل الكرنبية واللفتية والقنبيطية والقرعية والبسباسية والسلقية والنعناعية وصنف آخر يطهى مع الأرز في الفرن كان يسمى النرجسية وصنف يطهى مع الكمأة يسمى الترفاس وصنف يسمى بقلية لزرياب وهو لحم مطهو مع الكرنب والبيض وفتات الخبز وغيرهم من الأصناف الشهية

التفايا:

وهي من الأكلات التي لا تزال تقدم في المغرب ويرجح أنها من الأصناف التي أدخلها زرياب إلى الأندلس وتعرف في المشرق باسم أسفيدباجة وكانت من الأصناف المحببة لدى الأندلسيين وهي نوعان أبيض وأخضر، وكان من الأصناف التي تقدم منفردة أو مع الكسكسو.

تتكون التفايا من قطع من لحم الغنم يسلق مع بصلة مدقوقة وملح وفلفل وكزبرة يابسة ولوز مدقوق وكرات اللحم المفروم «البنادق» ومغرفة من زيت وماء وتوضع على نار هادئة حتى تنضج وهذه هي التفايا البيضاء ولمن أرادها خضراء يضيف إليها ماء الكزبرة الخضراء وقليل من ماء النعناع، وهناك نوع آخر من التفايا كان يعرف في مراكش باسم «تاحصحصت» يصنع بنفس الطريقة ولكن يبقى على النار حتى يجف ماؤه ويحمر فيما بقى فيه من زيت. ويمكن استبدال لحم الغنم باللحم البقري كما كانت تصنع التفايا بالدجاج، وهنالك صنف آخر من التفايا يصنع من الأسماك.

لحم الغنم بالتفاح:

يقطع لحم الغنم ويسلق في الماء مع الملح والفلفل والكزبرة اليابسة والكمون والبصل حتى إذا قارب على النضج أضيف له التفاح المقشر والمقطع ثم يضاف الزعفران والخل ويترك قليلًا على نار هادئة حتى تجف المرقة تمامًا ثم يقدم في الصحاف وترش عليه القرفة والزنجبيل.

إسفريا:

وهي من الأكلات الشعبية الشهيرة في الأندلس وكانت تباع في الأسواق وتطهى بأكثر من طريقة وفيها يدق اللحم ويخلط بالعسل والزيت والماء ثم يخلط مع الدقيق ويشكل على شكل أقراص ويقلى في الزيت ويمكن إضافة الجوز واللوز والتفاح المقطع إلى اللحم.

الطيور والأرانب:

تأتي الطيور في المنزلة الثانية عند الأندلسيين بعد لحوم البقر والغنم والحملان، ومن الطيور التي عرفها الأندلسيون وتفننوا في طهيها الدجاج والإوز والبط والحمام واليمام والعصافير والحجل والزرازير وكذلك أحبوا الأرانب البرية ونوعًا آخر اسمه قنلية وهي كلمة لاتينية كانت تطلق على حيوان يشبه الأرنب ولكن أصغر حجمًاوأطيب طعمًا.

وتنوعت طرق طهي الطيور من سلق أو شواء أو الجمع بين الطريقتين كسلق الطيور ثم دهنها بالزيت ورش التوابل عليها ثم ادخالها الفرن حتى تنضج أو أن تحمر الدجاجة أولًا في الزيت والتوابل ثم تغمر بالماء حتى تنضج وتجف مرقتها وتحمر في زيتها، وتفنن الأندلسيون في طهي الدجاج كما في اللحوم وتنوعت طرق الطهي المتعددة التي حملت أسماء مثل الكافورية وذلك لاستخدامهم الكافور في طهيها والجعفرية التي يستخدمون فيها الزعفران بكثرة فيصبح لونها ذهبيًا مثل لون نوع ذهب كان يسمى الجعفري، واللمتونية نسبة لقبيلة لمتونة الأمازيغية وكذلك أصناف أخرى من الدجاج مثل العباسية والجليدية والجلابية والثومية والبدوية والإبراهيمية والبرمكية والمنشية والمروزية، وبعض هذه الأصناف كان يمكن استبدال

الدجاج بالإوز أو الحمام أو الديكة. كما صنعوا الطواجن الشهية المصنوعة من قوانص الطيور والمخلوطة بالبيض والدقيق المتبلة بالزيت والمري والكزبرة والمزينة بالصنوبر.

ومن طرق طهي الدجاج نجد صنفًا اسمه الكافوريّة وفيه يقطع الدجاج ويوضع في قدر به ملح وبصلة واحدة وفلفل وكزبرة يابسة وزيت وتوضع على النار حتى تنضج ثم تغطى باللوز المقشر المدقوق كالعجين المخلوط بماء الورد وتعصر عليها ثلاث ليمونات وكافور مخلوط بماء الورد ومن هنا اكتسب هذا الصنف اسمه.

ومن الطرق المميزة في طهي الدجاج على الطريقة الأندلسية صنف طعام اسمه الجلابية تطهى الدجاجة بنفس طريقة عمل التفايا البيضاء وبعد أن تنضج تخرج من القدر وتترك لتجف ثم تغمر في قدر فيه القطر «العسل» الممزوج بماء الورد والقرنفل والزنجبيل والمسك .

الأسماك أو الحوت:

كانت الأسماك من الأكلات الشائعة في الأندلس وذلك لطبيعتها الجغرافية المطلة على البحر المتوسط جنوبًا وشرقًا والمحيط الأطلطي غربًا، ولذلك كانت تسمى شبه الجزيرة الأيبرية وهي كما نعلم إسبانيا والبرتغال حاليًا، كما كانت الأندلس مزدهرة بمدنها الساحلية وموانئها العامرة مثل المرية ومرسية وبلنسية ومالقة وجبل طارق والجزيرة الخضراء. وكذلك جزر البليار التي تعرف باسم الجزائر الشرقية.

وكان الأندلسيون يطلقون على الأسماك اسم سمك أو حوت،

ومن أسماء الأسماك في العصر الأندلسي نجد سمك الشولي والشابل والماني والكمون والنوري والجلبيل والجرافة والكحلة والبوري وهو نوع مشهور من أسماك البحر الأبيض المتوسط ويعرف بنفس الاسم في مصر.كما عرفوا السردين وسمك التن أو التونة وقاموا بتمليح وتخليل الأسماك لتبقى فترات طويلة.

وكانت جميع أصناف الأسماك تسلق سلقة خفيفة قبل طهيها ثم توضع في طاجن في الفرن أو تشوى أو تقلى بطرق متعددة وكان يصنع من سمك التن صنفان وهما الراهبي والمشمع، أما أنواع السمك الأخرى فكانوا يصنعون منها أصنافًا تسمى الجملي والجملي المحشي والمغفّر والبسباسية والمروج والتفايا البيضاء، وصنعوا بنادق السمك وهي ما نسميها الآن كفتة السمك، وتتكون من لحم السمك المفروم المخلوط بالدقيق والبيض ليساعد على تماسكه وتشكيله على شكل كرات صغيرة ثم يقلى في الزيت، ويعد السمك المشوي بالملح والأنشوجة المحفوظة بالخل من الأصناف التي لا تزال حاضرة في المطبخ الإسباني حاليًا ويرجعون أصلها إلى الأندلسيين.

الخضروات والبقوليات:

نلاحظ من خلال وصفات الأطعام الأندلسي كثرة استخدامهم للباذنجان ويبدو أنه كان من الخضروات المحببة لدى الأندلسيين ومن البقوليات كانوا يفضلون الفول الأخضر واليابس، هذا بالطبع إلى جانب المحاصيل الأخرى مثل العدس والسفرجل والقلقاس والسبانخ والجزر والهليون والكمأة والخس والقرع. وصنعوا منهم أطيب الأطعمة بطرق متعددة خاصة الباذنجان الذي صنعوا له أكثر من عشرين صنفًا فقاموا

بطهيه مقليًا ومشويًا وفي الطاجن في الفرن ومحشوًا بفتات الخبز والبيض آو محشوًا باللحم المفروم واستبدلوا اللحم المفروم في المركاس بالباذنجان مع قليل من الشحم والبيض، وصنعوا منه صنف طعام قريبًا من الباباغنوج السوري وفيه يقشر الباذنجان ويقطع ثم يسلق بماء وملح وبعد أن يعصر ويصفى من مائه يضاف عليه الزيت والخل والثوم المهروس.

ومن الفول صنعوا عدة أصناف منها الفول المقلي المملح وكانوا يطلقون عليه اسم زرياب، وصنف اسمه البيسار وهو في المغرب بنفس الاسم وفي مصر يسمى البصارة وفيه يغسل الفول اليابس المقشر، بالماء الساخن عدة مرات ثم يدهن بالزيت ويوضع في قدر على النار مع ماء وبصلة مشقوقة ورأس ثوم وكزبرة خضراء وبسباس أخضر ويترك على النار ويتفقد بالتقليب حتى ينضج ويصبح طريًا ثم نخرج منه البصل والثوم ونضع عليه بعض الملح حسب الرغبة ويصب في الصحون ويزين بالكمون والزيت وينصح بأكله مع الفجل والبصل الأخضر. ويمكن في هذه الوصفة استبدال الفول اليابس بالفول الأخضر المقشر ويسمى الفستقية.

المخللات:

كان الزيتون من أهم المخللات في الأندلس وكانوا يقومون بتخليله مع الليمون والزعتر والماء والملح والزيت، ويترك عدة أيام حتى ينضج. وقاموا كذلك بتخليل الباذنجان والأسماك وعيون الكبر .

الحلوى والمربى :

أبدع المسلمون بشكل عام والأندلسيون بشكل خاص في صناعة الحلويات الغنية بمكوناتها الدسمة من والزبد والدقيق والقطر والجوز واللوز والفستق فقد كانت الحلوى تشكل غذاء هامًا في شهر رمضان وذلك لحاجة الجسم للطاقة.

وكانت الحلوى الأندلسية لا تختلف كثيرًا عن مثيلاتها من الحلويات العربية والمغربية والتي يطلق عليها بشكل عام اسم الحلويات الشرقية مثل الزلابية ولقم القاضي والقطائف والكنافة والكعك المحشو باللوز والسكر أو المحشو بالعسل، والإسفنج والسنبوسك والفالوذج والخبيص أو الخبيصة والعصيدة وأصناف أخرى مثل القاهرية السكرية والشامية والتركية والرخامية والشرقية، وكعب الغزال المحشو بالصنوبر والمسمنة، والقرص المحشوة باللوز أو بالتمر كما صنعوا أنواع المربات المختلفة مثل مربى الورد والسفرجل والجزر والبنفسج والباذنجان والتفاح واللارنج.

تذكر أنك حملت كتاب نسمات أندلسية مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

الأزياء الأندلسية

مقدمة:

تحتفظ العديد من المتاحف العالمية ببعض المنسوجات الأندلسية ذات الألوان الزاهية والتصميمات الراقية والصنعة المحكمة، تشهد على براعة الأيدي الماهرة التي نسجتها وعلى مدى تقدم ودقة صناعة المنسوجات في الأندلس والتي كانت تصدر إلى الغرب والشرق يرتديها القساوسة والكهنة في الكنائس وتتجمل بها نساء أوروبا وبنات العرب وتقتنيها النخب المسلمة والمسيحية.

برع الأندلسيون في صناعة المنسوجات والملابس سواء المصنوعة من الأقطان أو الكتان أو الصوف والفراء ولكن ما أكسب الأندلس شهرة عالمية في زمنها هو تفوقها في إنتاج المنسوجات الحريرية، فقد كانوا ينتجون أنواعًا مختلفة من المنسوجات الحريرية مثل الخز الذي يصنع من الحرير والصوف، والإبرسيم وهو الحرير الخالص والديباج وهو نسيج من الحرير السميك والحرير الموشي بخيوط من الذهب، وكانت الملابس ذات الألوان الزاهية محبوبة ومفضلة لدى الأندلسيين وقد استخدموا في صباغتها القرمز الذي يتساقط من أشجار البلوط للصباغة باللون الأحمر ودرجاته -والقرمز نوع من اليرقات تستخلص منه الأحماض التي تستخدم في عملية الصباغة- واستخدموا في الصباغة كذلك بعض النباتات مثل العصفر للون الأصفر والنيلة للون الأزرق.

وكان المحتسب ينهى الصباغين عن استخدام نبات المثنان في صباغة اللون الأخضر ونبات البقم في اللون الأزرق لأنها من

الألوان غير الثابتة والتي تختفي سريعًا وكان من يقوم بهذا الفعل ينال العقوبة لأنه تدليس على المشترين.

صناعة المنسوجات والأقمشة:

يرجع الفضل في ازدهار صناعة المنسوجات في الأندلس إلى الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط الذي أنشأ دار الطراز في قرطبة على مقربة من قصر الإمارة، لنسج الطرز الأميرية للأمير وحاشيته، والمصنوعة من الحرير المختم بالذهب مختلف الألوان.

ويذكر ابن خلدون في تطريز الأثواب الملكية بالكتابات المنسوجة بخيوط الذهب فقال: «من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الإبريسم ، تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب إلحامًا وإسداء بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلابسها من السلطان فمن دونه، أو التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته.

وكان ملوك العجم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطرازبصور الملوك وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك، ثم اعتاض ملوك الإسلام غير ذلك بكتب أسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل أو السجلات»

وفي عهد عبد الرحمن الأوسط وصل إلى الأندلس من المشرق المطرب العراقي أبو الحسن علي بن نافع الشهير بزرياب، ووضع للأندلسيين نظامًا لارتداء الأزياء تبعًا لفصول السنة وحدد لكل ملبس الوقت الذي يلائمه، فالملابس البيضاء المصنوعة من القطن والكتان كما كان للرحالة والتجار العراقيين دور هام في نقل الطراز البغدادي والتي استلهمها بسرعة فائقة الأندلسيون وخاصة أن الأندلس كانت تنتج كميات كبيرة من الحرير حتى أصبحت الأندلس بمنسوجاتها الحريرية من ديباج وخز وإبريسم تنافس البضائع القادمة من المشرق.

وقد اتسعت دار الطراز في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وتولاها أيامه الفتي الصقلبي خلف الكبير ثم تولاها في عهد الخليفة الحكم الثاني المستنصر الفتى فائق النظامي.

أما مدينة المرية فقد تفوقت على قرطبة في إنتاج المنسوجات الحريرية وقال عنها ياقوت الحموي: «فلم يثقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية».

وقال ابن سعيد نقلًا عن ابن فرج: «حدث فيها من صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه من صنعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير ما لم يبصر مثله في الشرق ولا في بلاد النصارى».

أما في عصر الموحدين فقد كان لديهم ورع من ارتداء الحرير والحرير المذهب ولكن استمر إنتاج الحرير في عصرهم في المرية ومن المدن التي تفوقت كذلك في صناعة المنسوجات مدينتي مرسية ومالقة أما إشبيلية فاشتهرت بالملابس ذات النقوش والرسومات الملونة.

وفي عصر بني نصر في غرناطة ازدهرت صناعة النسيج وانتقلت من خلالها إلى الممالك الإسبانية المسيحية وإلى الدولة البيزنطية وتعد مدن مالقة والمرية وآندرش وفنيانة ودلاية من المدن التي اشتهرت بصناعة النسيج في مملكة غرناطة؟

وكان سلاطين بني نصر يهادون سلاطين مصر والمغرب بهذه المنسوجات الحريرية وكذلك آهدوها إلى ملوك الممالك المسيحية وقد نالت إعجابهم حتى آنهم كانوا يكفنون فيها موتاهم. وقد تكفن بها الأمير دون فيليب وزوجته والأمير دون رودريجو خيمنث دي دارا ويحتفظ متحف الفنون الجميلة في بوسطن بقطعة نسيج من الحرير الموشى تعود للفترة حكم المسلمين للأندلس حوالي عام ١١٠٠م عثر عليها في قبر سان بيدرو دي آوسما فيكاتدرائية بورغو دي آوسما.

ملابس أهل الأندلس:

كان أهل الأندلس يميلون للأناقة ويرتدون الملابس المصنوعة من الصوف والفراء في الشتاء لشدة البرد، أما في الصيف فكانوا يرتدون فيه الملابس المصنوعة من القطن والكتان والحرير وكانت الملابس الملونة مفضلة لدى الأندلسيين على مر العصور، قال لسان الدين بن الخطيب في هذا عن آهل غرناطة «ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف(30 (المصبوغ شتاء، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة »

وفي ذكر حب الأندلسيين للملابس الملونة قصة طريفة عن القاضي محمد بن بشير قاضي قرطبة في عهد الحكم الأول وكان يتصف بالعلم والورع وكان يعقد جلساته في جامع قرطبة

في إزار مورد ورداء معصفر وشعر مصبوغ وآتاه رجل لا يعرفه فلما رأى مظهره ظن أنه ليس القاضي فسأل بعض الحاضرين عن القاضي فأشاروا إليه فقال لهم إني أراكم تستهزئون بي أسألكم عن القاضي تدلونني على زامر؟ فزجروه فناداه القاضي البشير وقال له اذكر حاجتك فذكرها ووجد من العدل والإنصاف فوق ما كان يظن.

وقد تغنى ابن زمرك في أشعاره بهدية قدمها له السلطان محمد الخامس عبارة عن رداء صنهاجي من لون أحمر مزخرفة برسومات من طيور.

وكانت الملابس البيضاء مفضلة لدى أهل الأندلس، وكانوا يلبسونها أيضًا في الحداد والمآتم ويبدو أن هذا التقليد بدأ في الأندلس منذ عصر الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل إذ كان يكره اللون الأسود لأنه لباس العباسيين.

ملابس الرجال:

عرف عن رجال الأندلس تركهم ارتداء العمائم ويرجع بعض المؤرخين هذا لاختلاطهم بالمسيحيين في الغرب. ذكر المقري نقلًا عن ابن سعيد في زي أهل الأندلس: «أن الغالب عليهم ترك العمائم لا سيما في شرق الأندلس فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيًا ولا فقيهًا مشارًا إليه إلا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة، وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره، وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم تراه بعمّة في شرق منها أو غرب وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا

رأيته في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة.»

وكان الأندلسيون إذا رأوا رجلًا من المشرق على رأسه عمامة أظهروا التعجب والاستطراف لأنهم لم يعتادوا عليها. وقال لسان الدين بن الخطيب عن أهل غرناطة:

«والعمائم تقل في زي أهل هذه الحضرة إلا ما شاد في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند العربي منهم» ونلاحظ ترك أهل الأندلس ارتداء العمائم في النقوش المحفوظة على علب العاج الأندلسية التي صنعت في العصر الأموي والتي تمثل أشخاصًا أحدهم يضرب على العود والآخر جالس يستمع، ونقش آخر لصور فرسان يركبون الخيول ويحملون على أكتافهم الصقور وآخرين يصيدون الوحوش بالرماح وجميعهم حاسرو الرؤوس.

أما رؤساء الأمازيغ فكانوا يرتدون العمامة وكان أمراء بني أمية يهادونهم بالعمائم الملونة، وكذلك كان المرابطون والموحدون يرتدون العمائم ويذكر ابن الآبار أن المعتصم بن صمادح ذهب لمقابلة يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في حصن أليط وكان يرتدي العمامة تقربًا من ابن تاشفين فلما رآه المعتمد بن عباد نظر له نظرة ساخرة فأدرك المعتصم أنه يستهزئ به.

ونجد في فترات حكم المرابطين والموحدين بعض الأندلسيين الذين ارتدوا العمامة تشبهًا بملوك وقادة الأمازيغ، وفي عصر بني نصر ارتدى بعض السلاطين العمائم وقد كانت العمائم مفضلة لدى العلماء والفقهاء في أغلب عصور الأندلس والعمائم قماش يلف به الرأس وله طرف متدلٍ يلف على الكتفين أو يرخى على الصدر.

وقيل عن العمامة «تيجان العرب العمائم» وكان الرسول ﷺ يرتدي العمامة وكذلك الصحابة والأمويون والعباسيون، وسئل أبو الأسود الدؤلي عن العمامة فقال:

«هي جُنَة في الحرب ومُكنّة من الحر ومدفأة من القُرّ ووقار في النَّديّ وواقية من الأحداث وزيادة في القامة وعادة من عادات العرب.»

أما عامة أهل الأندلس فكانوا يرتدون القلانس والغفائر والقلنسوة هي أشبه بالطاقية وتصنع من القطن أو الكتان أو الصوف أو الفراء أو الحرير، وأحيانًا من الحرير الموشى بخيوط الذهب، وكانت تلبس في المشرق تحت العمائم.

وقد جاء في حديث حسن رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء».

وروى الترمذي عن عائشة قولها عن الرسول ﷺ: «كان يلبس القلانس في السفر ذوات الآذان وفي الحضر المضمرة الشامية».

أما في الأندلس فكانوا يرتدونها بدون عمّة وكانت أحيانًا تكون مرتفعة عالية وأحيانًا تكون ذات ذؤابات متدلية عند الأذن يرتدونها في الشتاء للتدفئة.

وكان بعض ملوك الأندلس يرتدون القلنسوة بدون عمة مثل المعتمد بن عباد ووزيره ابن عمار، ولبسها بعض القضاة مثل أبي خالد سعيد بن سليمان الغافقي في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان يرتديها بعض الجنود في الجيش الأموي في الأندلس.

ولعل أشهر صورة للقلنسوة الأندلسية هي القلنسوة التي كان يرتديها السلطان أبو عبد الله محمد الصغير آخر ملوك غرناطة.

وكان الأندلسيون يرتدون القمصان الطويلة التي تصل إلى منتصف الساق ذات أكمام طويلة تصل إلى أطراف الأصابع وكانت في الغالب تصنع من الكتان الرقيق وقد ذكر أن المعتمد بن عباد عندما اقتحم المرابطون قصره برز لمحاربتهم حاسر الرأس ليس عليه الا القميص .

ومن الملابس المفضلة عند الأندلسيين والتي كان يرتديها عامة الشعب في المدن والريف، الدراعة وجمعها دراريع وهي معطف قصير مفتوح من الرقبة حتى أسفل الصدر وتصنع من عادة من الصوف الكثيف أو الرقيق، أو الديباج أو الحرير الموشى بالذهب وتكون في العادة قصيرة وذات أزراركثيرة وصغيرة تشبك في العروة وكان الأغنياء ورجال الدولة يرتدون الدراريع ذات أزرار مصنوعة من الذهب أو اللؤلؤ وكانوا يرتدونها فوق القميص والسروال بدون بطانة في الربيع وفي الشتاء يكون لها بطانة من فراء أو صوف، وكانوا يفضلون الدراريع الملونة بعدة ألوان مزخرفة بأشكال هندسية أو نباتات أوطيور.

والملحفة هي ملاءة مبطنة كان يطلق عليها أحيانًا اسم المبطن وكانت تلبس فوق القميص والسروال والملحمة أو الملحم وهي رداء بلا بطائن. وكان هنالك عدة أزياء أخرى يرتديها الرجال مثل الجلاليب والدلوق والمسوح.

ملابس النساء:

تميزت ملابس النساء الأندلسيات بالأناقة والجمال وكن

يفضلن الثياب الملونة ويحببن الزينة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والملابس المصنوعة من الحرير والديباج والحرير الموشى خاصة أولئك اللاتي ينتمين إلى طبقة الأغنياء وقد وصف ابن الخطيب مظاهر حب النساء للحلي في عصره فقال: «وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن عين الدهر ويكفكف الخطب ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة»

وقد نالت أزياء النساء في الأندلس إعجاب الكثير من ملوك وسادة أوروبا فقد ذكر الرحالة البلجيكي البارون ليون دي روزميتال الذي زار إسبانيا عام ١٤٦٦ أنه عندما استقبله أحد السادة في قصره في مدينة برجس كانت نساء هذا القصر مرتديات الملابس على الطريقة الإسلامية.

وكان يغلب على زي النساء الحشمة وأغلبهن كن يرتدين النقاب والحجاب وكن يضعن الغفارة وهي قطعة قماش صغيرة مثل المنديل تضعها المرأة على رأسها لتكون بين شعرها والخمار فلا يتأذى الخمار بالزيوت والدهون التي كانت تدهن بها المرأة شعرها وكان يسمى الملفة أو وقاية أو كلبوش، والكلبوش كلمة فارسية تتكون من كله ومعناها الرأس وبوش ومعناها الغطاء.

والكنبوش وهي كلمة فارسية مكونة من كن وبوش بمعنى غطاء وكان يطلق في المغرب على الغطاء أو اللثام الذي يستعمل لتغطية الوجه من الذقن حتى الأنف ثم انتقلت الكلمة إلى الأندلس وأطلق على نقاب النساء الذي يغطى الوجه ما عدا العينين، وكانت بعض النساء يستخدمن شيئًا من الأقمشة يسمى

القُبَّة كانت المرأة تقببه على رأسها من خمارها بحيث يبدوكالقبة.

وأحيانًاكانت النساء يضعن العمَة ونلاحظ أن هذه الصيحة قد مرت على نساء مصر أيضًا في عصر المماليك فكن يخرجن وهن واضعات العمامة على رؤسهن حتى نهى السلطان الظاهر بيبرس عن هذا.

وكانت النساء يرتدين القميص والسروال الواسع الفضفاض باللون الأبيض أو الأسود وفوقه معطف صغير مطرز وملون من الديباج أو الحرير وفوقه ملحفة أو ملاءة كبيرة الحجم طويلة تصل إلى القدمين تلف جسمها به وكانت هذه الملاحف تكون أحيانًا مزخرفة بزخارف هندسية من لون آخر أو بخيوط الذهب، أما الجواري فكن يرتدين البرانس وكذلك بعض الحرائر من النساء.

ويذكر المقري أن الملك المنصور محمد بن أبي عامرعندما حجر على الخليفة هشام المؤيد في قصره لم يكن يراه أحد وعندما كان يركبه للنزهة ويجعل عليه برنسًا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يعرف منهن.

وكانت النساء يرتدين ثوبًا يسمى الأتب وهو ثوب مقفولبدون أكمام له فتحة للرأس ويسدل على الجسم ويلبس فوق القميص والسروال كان في العادة مخططًا بلونين.

ومن أزياء الأندلسيات في الفترات المتأخرة في تاريخ الأندلس الملوطة وهي الثوب الواسع القصير واسع الأكمام يلبسنه فوق القميص والسروال وكان يصنع من الصوف والحرير وكان يزخرف بزخارف هندسية ونباتية أو رسومات لطيور

وحيوانات. وكن يرتدين نوعًا من الجوارب المجعدة التي تعطي حجمًا ضخمًا للساق وكانت تصنع من الكتان.

أما الأحذية فكانت الموق والقرَاق والخف والصندل خارج المنزل وانتشر في بعض الفترات نوع من الخفاف تسمى الخفاف الصرارة وقد نهى القاضي يحيى بن عمر النساء عن لبسها في الأسواق لأنها تصدر أصواتًا تلفت إليهم النظر، أما في داخل المنزل كانوا يرتدون الخفاف الخفيفة المصنوعة من الجلد الناعم بألوان مختلفة وأحيانًا تكون مطرزة بالفضة والذهب وبعضها كان يبطن بالحرير ويسمى شاربيل.

ملابس الأطفال:

لا توجد مصادر وافية حول ملابس الأطفال في الأندلس إلا النذر اليسير مثل اللفافة وهي ما يلف بها الطفل الرضيع وتسمى في مصر اللفة و الكنبوش وكان يطلق على غطاء الرأس للأطفال، والببطير وهي كلمة أصلها من الكلمات الأعجمية الأندلسية وانتقلت إلى العربية، وهي قطعة القماش توضع على عنق الأطفال حتى لا تتسخ ثيابهم من اللعاب وكان الأطفال سواء صبيان أو بنات يرتدون الجوارب الصوفية الضيقة، وصفت بأنها كالأنبوب وتصل إلى الركبة ومن فوقها جلباب قصير وحذاء بعنق في الشتاء وفي الصيف صندل بدون جوارب.

الخاتمة:

تأثرت الأندلس في مراحل كثيرة بأزياء المسيحيين واليهود الأندلسيين أو المسيحيين في الأمم المجاورة فمثلًا تفضيل

الأندلسيين الطيلسان القلنسوة عن العمامة أو ارتداؤهم للسراويل الضيقة التي قال عنها المقري أنها تشبه الإشكرلاط لدى النصارى. تأثر كذلك الأندلسيون بالمرابطين والموحدين عندما حكموا الأندلس فبادر البعض منهم بارتداء العمامة خلال تلك الفترة وبعضهم كان يتلثم بلثام يغطي الوجه فيما عدا العينين حتى تم نهيهم من قبل السلطان عن هذا.

وفي مملكة غرناطة زاد التشبه بأزياء النصارى سواءملابس العامة أو الجيش الغرناطي أو ملابس السلاطين، ويقال أن الملوطة انتقلت من قشتالة إلى غرناطة في عصر بني نصر وقد علق ابن خلدون على هذا حين قال: «إن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه» وخص الأندلس في الكلمات التالية: «إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبّه والاقتداء حظ كبيركما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله»

مهن وحرف الأندلسيين

ونحن نسير في شوارع بلدتنا القديمة نمر على أسواق عتيقة تحمل أسماء صناعات وحرف أغلبها لم يعد له وجود مثل النحاسين والعقادين والخيامية والسروجية، نرى أطلال أسواق اكتسبت أسماءها من صناعات اندثر معظمها، ربما نرى عددًا قليلًا من الحرفيين والصناع ما زالوا يجاهدون في الحفاظ على مهنة الآباء والأجداد، بالرغم من ضيق الحال وقلة الطلب بسبب انتشار البضائع المستوردة الرخيصة، إلا انهم ما زالوا متمسكين بصنعتهم فخورين بها وحق لهم أن يعتزوا ويفخروا بصنعتهم فهي ليس لها مثيل وندر وجودها في هذا العصر.

وما بين مهن اندثرت ومهن ما زالت حاضرة وأخرى مهددة بالاندثار، تشابهت الأندلس مع مثيلاتها من الدول العربية والإسلامية في المهن والحرف الشعبية، فإلى جانب وظائف رجال الدولة في الوزارة والحجابة والجيش والشرطة والحسبة والقضاء،كانت هناك وظائف ومهن لعامة الشعب، وكان أصحاب المهنة الواحدة ينتسبون إلى طائفة «نقابة» بدءًا من المعلمين «أساتذة الصنعة أو الأسطاوات» ثم الصناع والصبيان، وكان يُطلق على أصحاب الحرف، أرباب الصنائع أو أصحاب الصنائع، ويختار أصحاب المهنة الوحدة أو القاضي رئيسًا لكل طائفة يسمى أمينا .

وكانت مهام الأمين حل المنازعات بين أفراد الطائفة والتحقق من شكاوى بعض الناس ضد الصناع أو التجار التابعين له، ومنع الغش والتدليس بين أهل حرفته ومراقبة دقة وجودة الصناعة، وفي بعض الأحيان كان الأمين له ختم خاص يختم به على

المنتجات الصناعية بعد التأكد من دقة صنعها ومطابقتها للمقاييس والمواصفات المتعارف عليها بين صناع المهنة، وكان يمثل حلقة الوصل بين أعضاء طائفته وبين الدولة المتمثلة في المحتسب، يبلغه شكواهم أو مطالبهم أو يرفع الشكاوى للقاضي، ويبلغ أرباب الحرف أسعار السلع والضرائب.

وكان الأمين لا بد أن تتوافر فيه صفات مثل العلموالصلاح وأن يكون مشهورًا بالثقة والأمانة، وكان رأيه مقبولًا عند القاضي والمحتسب.

مهن الرجال:

في العادة كان الأبناء يتوارثون صنعة الآباء بعد إتمامهم مراحل التعليم الأولية إذ كان الأندلسيون يولون عناية خاصة بتعليم أبنائهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ولم يفرقوا بين الذكر والأنثى في التعليم وهذه من الأشياء المحمودة لهم، وكان لديهم احترام واعتزاز بصنعة الآباء والأجداد حتى قالوا في أمثالهم الشعبية: «صنعة والدك ولو كان حشاش» كما كانوا يقدرون العمل ويكرهون البطالة، وإذا شاهدوا متسولًا قادرًا على العمل أهانوه.

وقد نقل المقري التلمساني عن ابن سعيد المغربي الذي وصف اهتمام الأندلسيين البالغ بالتعليم والعمل فقال عنهم: «أما حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغًا عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح»

ومن لقي حظًا وافرًا في العلم كان يعمل في القضاء أو في

الفقه والتدريس والطب والصيدلة والكتابة ونسخ الكتب والمصاحف وبعض الأعمال الأخرى التي تطلب الإلمام بالعلوم والآداب. كما عمل الأندلسيون في مؤسسات تابعة للدولة مثل دور صناعة الأسلحة ودار صناعة السفن ودار السكة ودار الطراز لصنع المنسوجات والأقمشة، وعمل قسم كبير منهم في الفلاحة إذ كانت الأندلس دولة زراعية في المقام الأول.

مهن النساء:

من المهن التي عملت بها النساء في الأندلس نجد الحجامة والدلالة والطباخة والخبازة، والماشطة التي تزين العروس، القابلة التي تقوم بتوليد النساء «الداية»، ومطربة في الأعراس، والغاسلة التي تخرج لغسل المرأة المتوفاة، وكانت الغاسلة تذهب أولًا إلى المحتسب وتأخذمنه ورقة تجعلها في مكان بارز فوق عصابتها على رأسها أو مخيطة في إزارها حتى يعلم الناس أنها الغاسلة ويبدو أن هذا الطقس كان لإعلام الناس بحالة الوفاة فيقومون بالذهاب للجنائز والعزاء.

ومن المهن التي امتهنتها المرأة نجد أيضًا النائحة وهي التي تستأجر للبكاء على الميت والصراخ والندب قال عنها ابن عبد ربه «وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة».

وكان القاضي يمنع النساء من النحيب والصراخ ولكن لم يمنعهن من الخروج إلى الجنائز وكان يكتفي بأنه مكروه وبعض النساء ممن تلقين حظًا وافرًا من التعليم كن يعملن بالطب وتعليم الصغار في بيوت الأسر الميسورة، ونسخ الكتب والمصاحف في منازلهن وقد ذكر ابن فياض أن بالربض الشرقي من قرطبة كان مائة وسبعين امرأة كلهن يقمن بكتابة القرآن الكريم، وكانت

نُسخ القرآن التي تكتبها الأندلسيات مضربَ المثل في الدقة والجمال وتنافس الناس في اقتنائها، وبعض النساء كن يقمن بتربية دود القز وإنتاج الحرير، وبعضهنكن يقمن بأعمال غزل القطن والكتان والصوف في منازلهن ثم يخرجن لبيعه في الأسواق التي كان يتواجد بها مكان مخصص لجلوس النساء للبيع، أو يعهدن ببيعه لأحد الشيوخ من أصحاب الدكاكين الثقات الذين عرفت أمانتهم وحسن مخالطتهم للنساء ويمنعن من نثر الماء على الغزل حتى لا يثقل في الميزان فهذا من أنواع الغش، ويمنع الشباب من الاقتراب منهن والحديث معهن ومن يفعل ذلك كان يتعرض لعقوبة رجال المحتسب المسؤولين عن مراقبة الأسواق.

وكانت بعض مهن النساء مثل مهنة القابلة لها أمينة كذلك كما هو الحال في حرف ومهن الرجال.

الأسواق:

اهتم حكام الأندلس بأهل الحرف وحرصوا على أن يكون لكل حرفة سوقًا خاصًا بها وكانت هذه الأسواق عادة ما تكون على مقربة من المسجد الجامع أو بالقرب من أبواب المدينة كسوق العطارين الذي كان يقع بجوار باب العطارين «باب إشبيلية» في قرطبة وكانت الأسواق المركزية تقع في وسط المدينة في أحد شوارعها الرئيسية يتخذ فيه أصحاب الحرفة الواحدة محلات متجاورة فنجد الشارع الواحد يضم أسواقًا متعددة تكتسب أسماءها من هذه الحرف كسوق السقاطين والقزازين والخياطين، كما كان هذا الشارع تتفرع منه دروب وحارات عبارة عن أسواق لكل حرفة حارة تعرف باسمها. وتتقاطع تلك

الدروب بميادين صغيرة تسمى رحبة أو تربيعة وكان يوجد بها بعض المحلات أيضًا.

أما الصناعات التي قد تبعث روائح كريهة أو تحتاج الكثير من الماء أو أرض واسعة بعيدة عن ضيق الأسواق فكانت تتواجد خارج أسوار المُدن بعيدة عن المناطق السكينة مثل سوق الدباغين والصباغين والجيارين. وسوق الفخارين خارج باب الفخارين في غرناطة.

كما اهتم حكام الأندلس منذ عهد الأمارة الأموية ببناء القيسريات وهي عبارة عن محلات متجاورة في ممرات مسقوفة وكانت تباع فيها البضائع الراقية غالية الأثمان مثل الحلل الموشاة والديباج والذهب والفضة، وتعد قيسرية غرناطة من القيسريات الأندلسية الباقية منذ عهد بني نصر.

وقد تعرضت القيسرية لحريق هائل في سنة ١٨٣٤ ثم أعيد بناؤها على نفس طرازها الأندلسي القديم ولكن بممر واحد مستقيم فيما كانت قبل ذلك يتشعب منها دروب ضيقة كثيرة وتبقى منها ثلاثة أبواب من أصل عشرة أبواب كان يحرسها الدرابون والحراس ويصطحبون معهم الكلاب المدربة على الحراسة ويسهرون عليها ليلًا، وما زالت إلى الآن تحمل اسم القيسرية **Alcaiceria** وتقع على مقربة من كاتدرائية غرناطة التي بنيت على أنقاض المسجد الجامع.

أما التجار الأجانب فكانوا ينزلون في فنادق أعدت لهم خصيصًا وكان الفندق يطلق عليه في عصر الإمارة الأموية اسم الخان ويتكون من فناء مكشوف يحيط به بناء مربع أو مستطيل متعدد الطوابق، الطابق الأرضي يستخدم لتخزين البضائع

والأدوار العليا لسكن ومبيت التجار، ويغلق الخان بباب حديدي ليلًا وكان الخان يسمى باسم البضائع التي يجلبها التجار مثل الحبوب والتوابل والتين فيسمى خان التين مثلًا أو خان الخمر الذي يذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله افتتح عهده وهدمه .

ومن ضمن أسواق الأندلس، كانت هناك الأسواق الأسبوعية والتي تقام في يوم معين من أيام الأسبوع خاصة في القرى،كسوق الثلاثاء أوالأربعاء وكانت الأسواق الأسبوعية تقام أيضًا في بعض المدن كسوق الخميس في غرناطة وسوق الأحد في بطليوس، وإلى جانب هذه الأسواق كان الباعة الجائلون يفترشون الطرقات في الأسواق أو على مقربة من المسجد الجامع وكانوا يمنعون في فرش بضائعهم أمام الجامع يوم الجمعة إلا بعد انتهاء الصلاة. وكانت الأسواق تخضع لمراقبة الدولة من خلال المحتسب ورجاله حتى لا يتم التلاعب في الأسعار أو حدوث عمليات غش في البضائع.

تذكر أنك حملت كتاب نسمات أندلسية مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

احتفالات الأندلسيين في الأعياد والمناسبات

عند الحديث عن احتفالات الأندلسيين بالأعياد والاحتفالات يتبادر إلى الأذهان عيد الفطر وعيد الأضحى اللذان يحتفل بهما المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وفي الأندلس بطبيعة الحال وبجانب هذين العيدين كانت هنالك بعض الأعياد الأخرى التي حرص المسلمون على الاحتفال بها في ذلك الزمان ليس فقط في الأندلس بل في عدة بلدن عربية وإسلامية أخرى كالشام والعراق ومصر مثل المولد النبوي ويوم عاشوراء وعيد النيروز وهو بداية فصل الربيع كما كان بعض الأندلسيين خاصة في فترات متأخرة في عصر ملوك بني نصر يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الميلاد، ورأس السنة الميلادية وفي نفس الزمان كان المسلمون يحتفلون في مصر ببعض أعياد المسيحيين مثل خميس العهد وسبت النور وغيرهما، وكانت هنالك بعض الأعياد الأخرى التي اختص بها أهل الأندلس مثل عيد العصير وهو وقت جني وعصر محصول العنب.

الأعياد الإسلامية:

عيد الفطر:

كان يتم التحضير لعيد الفطر بعد ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بعد ختم القرآن والاحتفال بهذه الليلة بالصلاة وقراءة القرآن في المساجد والمنازل والقصور والأربطة ثم يقوم الأندلسيون بعدها وفي الأيام القليلة الباقية من شهر رمضان بصناعة الحلوى أو شرائها وشراء الملابس الجديدة

والذهاب إلى الحمام وتنظيف الدار وتهيئتها لاستقبال الضيوف والمهنئين بالعيد.

وكانت رؤية هلال شهر شوال يتم استطلاعها بحضور قاضي القضاة وكبار الفقهاء ويتم الإعلان عن انتهاء شهر الصوم بالتكبير ويعم الفرح والسرور.

وعن ليلة العيد واستطلاع الهلال قال الشاعر أبو الحسن بن هارون الشنتمري هذه الأبيات:

يا ليلــة العيــد عــدت ثانيــة

وعــاد إحســانك الــذي أذكــر

إذ اقبــل النــاس ينظــرون إلــى

هلالــك النضــو ناحــلا أصفــر

وفيهــم مــن أحبــة وأنــا أنظــره

فــي الســماء إذ ينظــر

فقلــت لا مومنــا بقولــي بــل

معرضــا للــكلام لا أكثــر

بــل أثــر الصــوم فــي هلالكــم

هــذا الــذي لا يــكاد أن يظهــر

ويقوم الأندلسيون بارتداء ملابسهم الجديدة والذهاب إلى المصلى لأداء صلاة العيد وقد وصفهم محمد بن عبد الله المعافري قاضي إشبيلية حين رأى كثرة جموع المسلمين في

صلاة العيد فأنشد هذه الأبيات:

إليــك إلــه الحــق قامــوا تعبــدا

وذلــوا خضوعــا يرفعــون لــك اليــدا

بإخــلا ص قلــب وانتصــاب جــوارح

يخــرون للأذقــان يبكــون سجدًا

نهارهــم ليــل وليلهــم هــدى

ودينهــم رعي ودنياهم ســدى

وكان السلطان يذهب إلى الصلاة مع كبار رجال الدولة ثم يعود إلى قصره ويجلس لتقلى التهاني بعيد الفطر وقد حرص الشعراء الأندلسيون المقربون من الدولة إلى نظم بعض الأبيات الشعرية الخاصة بكل مناسبة وإهدائها إلى السلطان وكانت تسمى العيديات وقد قام ابن زيدون بتهئنة الوليد بن جهور في يوم العيد فقال:

هنيئًا لك العيد الذي بك أصبحت

تـزوق الضحى منه والأصايل

تلقــاك بالبشــرى وحياك بالمنى

فبشــراك ألف بعــد عامك

وفي مملكة غرناطة أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي برع الأندلسيون في المبارزة في الميادين وكان السلطان محمد الرابع يتردد على هذه الأماكن ليختبر قوته مع الفرسان المهرة.

كما كانوا يجتمعون في الساحات يشاهدون بعض ألعاب الحواة وصراع الديوك والقرداتي وكانت الاحتفالات التي تقام في المنازل للأهل والأصدقاء تكون بقراءة القرآن الكريم والإنشاد والموشحات وقراءة الأبيات الشعرية وكانت بعض الاحتفالات لا تخلو من الغناء والموسيقا رغم تشديد الفقهاء على تحريمها ومن الآلات الموسيقية الأندلسية آلة تسمى الشباية بالإسبانية **Axabeba** وتشبه المزمار الخشبي، وآلة الغيطة **Gaita** وهى تشبه مزمار القربة، ومن الآلات أيضًا البوق النحاسي والدفوف والآلات الوترية مثل العود والقانون والربابة.

وكلك لم يكن يخلو الأمر في الاحتفال بالأعياد من قبل البعض بشرب الخمور والحشيش رغم التحريم ونهي الفقهاء ولكن هذه الظواهر السيئة لم تكن منتشرة في الأندلس فقط بل انتشرت في أغلب المدن الإسلامية ولا نزال نعاني منها في زمننا هذا .

عيد الأضحى:

كانت مظاهر الاحتفال بعيد الأضحى لا تختلف كثيرًا عن الاحتفال بعيد الفطر من شراء الملابس الجديدة والخروج للصلاة والاحتفالات على أن كل أسرة غنية كانت أم فقيرة تحرص على الأضحية وكانوا يشترونها قبل العيد بيوم أويومين فقبل العيد تساق الخراف من كل مكان إلى ميادين تسور بالأخشاب ويذهب الناس ويختارون ما يريدون من الخراف ويحملها لهم الحمالون إلى منازلهم.

وقد ترك لنا الأديب والشاعر الغرناطي أبو محمد عبد الله المعروف بابن مرابع الأزدي مقامة طريفة سميت باسم مقامة العيد وجه فيها رسالة إلى حاكم مالقة أبي سعيد فرج يطلب

منه فيها خروفًا لعيد الأضحى وبأسلوب طريف روى لنا حديثًا دار بينه وبين زوجته التي طلبت منه خروفًا فقال:

إني دخلت في هذه الأيام داري، في بعض أدواري، لأقضي من أخذ الغذاء أوطاري، على حسب أطواري.

فقالت لي ربة البيت لم جئت وبما أتيت؟

قلت جيت لكذا وكذا فهات الغدا.

فقالت لا غذا لك عندي اليوم، ولأودي بك الصوم، حتى تسل الاستخارة وتفعل فعل زوج الجارة، طيب الله نجاره، ملأ بالأرزاق وجاره.

قلت وما فعل قريني؟ وأرني من العلامة ما أحببت أن تريني.

قالت إنه فكر في العيد، ونظر في أسباب التعييد، وفعل في ذلك ولم تنظر إليه نظرة بعين اهتبالك، وعيد الأضحى في اليد والنظر في شراء الأضحية اليوم أوفق من الغد.

قلت صدقت وبالحق نطقت، بارك الله فيك وشكر جميل تحفيك، فلقد نبهت بعلك لإقامة السنة، ورفعت عنه من الغفلة منة، والآن أسير لأبحث عما ذكرت، وانظر في إحضار ما إليه أشرت، ويتأتى ذلك إن شاء الله بسعدك، وتنالين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، والجد ليس من الهزل، والأضحية للمرأة وللرجل الغزل.

ثم يحكي لنا بأسلوبه الطريف رحلته في البحث عن خروف يناسب إمكانياته المادية فقال:

عدوت أطوف السكك والشوارع وأبادر لما غدوت بسبيله

وأسارع، وأجوب الآفاق وأسل الرفاق وأخترق الأسواق، وأقتحم زريبة بعد زريبة وأختبر منها البعيدة والقريبة، فما استرخصته استنقصته وما استغليته استعليته وما وافق غرضي اعترضني دونه عدم عرضي حتى انقض ثلثا يومي وقد عييت بدوراني وهومي وأنا لم أتحصل من الابتياع على فايدة ولا عادت علي فيه من قضاء الأرب عايدة.

وبعد ذبح الأضحية وتوزيع بعضها الفقراء وإهداء الأصدقاء تقوم المرأة الأندلسية بإعداد أشهى الأطعمة الأندلسية من الثريد والتفايا والكسكسو وغيرهم من الأصناف التي تطهى باللحوم احتفالًا بعيد الأضحى وكانوا يعدون طبقًا مكونًا من القمح والحليب ويقال أنه ذكرى للطبق الأول الذي قدم للسيدة آمنة بنت وهب بعد وضعها لولدها رسول الله ﷺ وبقيت هذه العادة إلى أيام الموريسكيين.

المولد النبوي:

بدأ الاحتفال بالمولد النبوي في مصر في عهد الفاطميين الشيعة وكان الاحتفال به يقتصر على عمل الحلوى وتوزيعها وتوزيع الصدقات وكان قاضي القضاة يذهب في موكب إلى الجامع الأزهر مع كبار رجال الدولة حيث يختم القرآن الكريم ثم يتجه إلى قصر الخليفة ويقوم بتهنئته، وقد ذكر المؤرخ تقي الدين المقريزي أن في عصر الدولة الفاطمية كانت تشكل حلوى المولد النبوي على هيئة آلف صورة وتمثال وكان هنالك سوق يسمى سوق الحلاويين تصنع فيه تماثيل من سكر على شكل خيول وسباع وعروس وفارس وحصان وكانت تسمى العلاليق.

أما أول من احتفل به من السنة هو الملك المظفر أبو سعيد

كوكبري ملك مدينة إربل وزوج أخت الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فقد ذكر هذا العالم جلال الدين السيوطي وقال: «إن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمرالنبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات، ثم يُمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو البدع الحسنة التي يُثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بُكتُكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد والذي كان له آثارحسنة وهو الذي عمّر الجامع المظفري بسفح قسيون»

وقال عنه ابن كثير: «وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالًا هائلًا، وكان شجاعًا بطلًا عاقلًا عالمًا عادلًا وقد طالت مدته وكان محمود السيرة والسريرة»

أما بداية احتفال المسلمين في الأندلس بالمولد النبوي فكانت في عصر بني نصر ملوك غرناطة ويرجع هذا الأمر إلى قاضي سبتة أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي العزفي السبتي المتوفي عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م وكان قد رأى أن مسلمي سبتة والأندلس يشاركون النصارى في أعيادهم وخاصة مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ففكر أن يبعد المسلمين عن هذه البدع ويوجه أنظارهم إلى الاحتفال بالمولد النبوي وبعد أن تولى أبو القاسم محمد العزفي إمارة سبتة عمل على تحقيق دعوة والده وبدأ الاحتفال بالمولد النبوي في عام ٦٤٨ هـ/ ١٢٠٥ م وهكذا انتقل الاحتفال إلى مملكة غرناطة في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول الذي حكم غرناطة في

الفترة ما بين عام ٧٣٣هـ - ٧٥٥ هـ \ ١٣٣٣م – ١٣٥٤م والذي كان شاعرًا أديبًا عرف عنه حبه للعلم وتقريبه العلماء وكانت تنشد القصائد والعيديات ويقرأ القرآن وتنحر الذبائح وتقام الولائم وتنار شوارع غرناطة بالشموع ويشعل البخور.

وفي عهد ابنه السلطان محمد الخامس الغني بالله كانت الاحتفالات تستمر عدة ليالي ويتلى فيها القرآن وتحكى سيرة الرسول ﷺ وينظم الشعراء العيديات وقد نظم ابن زمرك قصيدة طويلة في مدح الغني بالله وخصص فيها بعض الأبيات في مدح الاحتفال الذي أقامه السلطان بمناسبة المولد النبوي حيث قال:

فأقمت ميلاد الرسول بليلة

أوضحت فيها للجهاد سبيلا

حيث القباب البيض جللت الربى

أزهار روض ما اكتسين ذبولا

ومواقد النيران تذكي حولها

فينير مشعلها ربى وسهولا

يوم عاشوراء:

وكذلك احتفل الأندلسيون بيوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر محرم يوم أن نجى الله سيدنا موسى عليه السلام من فرعون وكانوا يحتفلون به بالصيام فقد قال الرسول ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن

يكفر السنة التي قبله» رواه مسلم

وقد أنشد المؤرخ الأندلسي عبد الملك بن حبيب الإلبيري للأمير عبد الرحمن الأوسط هذه الأبيات بمناسبة يوم عاشوراء:

لا تنـــس لا ينســـك الرحمـــن عاشـــورا

واذكره لا زلت في الأحياء مذكورا

قـــال الرســـول صـــلاة اللـــه تشـــمله

قـــولا وجدنـــا عليـــه الحـــق والنـــورا

من بات في ليل عاشوراء ذا سعة

يكـــن بعيشـــته فـــي الحـــول محبـــورا

فارغـــب فديتـــك فيمـــا فيـــه رغبنـــا

خيـــر الـــوري كلهـــم حيـــا ومقبـــورا

الأعياد المسيحية:

كان لأهل الذمة من اليهود والنصارى في الأندلس حرية الاحتفال بأعيادهم مناسباتهم وشارك المسلمون في احتفالات المسيحيين ببعض أعيادهم خاصة في عصر مملكة غرناطة فاحتفلوا بثلاثة أعياد وهي عيد الميلاد الذي يوافق ذكرى ميلاد المسيح عيسى بن مريم في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ورأس السنة الميلادية وعيد العنصرة وهو ما يوافق مولد القديس خوان (يوحنا) وكانوا يصنعون في يناير حلوى تسمى المدائن تصنع من العجين والسكر على شكل منازل ذات أسوار يسمونها مدائن ينير وصفها الشاعر أبو عمران موسى الطرياني

فقال:

مدينـــة مســـورة تحـــار فيهـــا الســـحرة

لـــم تبنهـــا إلا يـــدا عـــذراء أو مخـــدرة

بـدت عروسـا تجتلـي مـن دمرمـك مزعفـرة

وكانت تصنع عرائس وتماثيل تعلق في الحوانيت ويشتريها الأندلسيون ليلعب بها الأطفال، كما كانوا يحتفلون بخميس العهد الذي يسبق عيد القيامة ويشترون فيه الحلوى والفواكه وقد تصدى الفقهاء لمشاركة المسلمين في أعياد المسيحيين وعدوها من البدع المحرمة وقال في ذلك الفقيه أبو بكر الطرطوشي «ومن البدع إقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم وإقامة العنصرة وخميس أبريل (خميس العهد) بشراء المجبنات والإسفنج وخروج الرجال والنساء مختلطين للفرجة»

كما أبدى الفقيه السبتى أبو القاسم العزفي انزعاجه من احتفالات المسلمين بأعياد النصارى وعاب على تحريض النسوة لأزواجهن على الإسراف في النفقات في سبيل الاستعداد لهذه الأعياد.

الأعياد الفارسية:

عيد النيروز وعيد المهرجان:

عيد النيروز وهو رأس السنة الفارسية ويوافق بداية فصل الربيع في ٢١ مارس \ آذار والنيروز بالفارسية نوروز معناها اليوم الجديد فهي مؤلفة من كلمتين نو تعني جديد وروز تعني يوم.

لم يلقَ احتفال عيد النيروز اهتمامًا من المسلمين في العصور الأولى سوى بعض الهدايا التي كان يقدمها الخلفاء الأمويون والعباسيون لرؤساء الفرس ثم انتشر الاحتفال بهذا اليوم في عدة دول إسلامية مثل العراق والشام ومصر والأندلس، ويحتفل بهذا اليوم الآن الأكراد والأتراك وعدة دول في قارة آسيا. وكان الأندلسيون يحتفلون به بصنع دمى من الفخار والخزف على شكل حيوانات ويشترون ملابس جديدة ويقومون بطهي صنف من الطعام يسمى الثريدة المثومة ويتهادون بالهدايا الثمينة وقد أهدى الوزير ابن عمار، الملك المعتمد بن عباد عباءة من صوف البحر يوم النيروز ونظم له أبيات من الشعر قال فيها:

لما رأيــت النــاس يحتشــدون فــي

إتحــاف يومــك جئتــه مــن بابــه

فبعثت نحو الشــمس شــبه إهابهــا

وكســوت متن البحــر بعــض ثيابــه

والعيد الفارسي الآخر الذي كانوا يحتفلون به هو عيد المهرجان بالفارسي مهركان ويتكون من كلمتين مهر وتعني الوفاء وجان احتفال وكان يوافق دخول فصل الخريف وهو من الأعياد التي كان يحتفل بها العرب قبل الإسلام فعن أنس رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال ﷺ إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر»

إلا أن المسلمين عادوا للاحتفال بعيد المهرجان في عصر الدولة العباسية ونظم أبو نواس شعرًا عن النيروز والمهرجان قال فيه:

لبـــاب تكبـــري فـــوق الجـــواري

فـــإن أبـــاك أعتبـــه الزمـــان

متـــى جمـــع أبـــا نصـــر مصـــرا

ممـــا للدهـــر بينهمـــا مـــكان

فتـــى يومـــاه لـــي فطـــر وأضحـــى

ونيـــروز بعـــد ومهرجـــان

واحتفل به المصريون في عصر المماليك وقال تقي الدين المقريزي عن النيروز والمهرجان: «من الأيام التي كانوا يسخون فيها بأموالهم ولا يبقى صغير ولا كبير إلى خرج إلى المنتزهات» وكانت في الأندلس تقام فيه الألعاب في الشوارع وقد شدد الفقيه عمر بن عبد الرحمن الجرسيفي على المحتسب أن يمنع الصبية من رش الماء في الشوارع في ذلك اليوم حتى لا تصبح الأرض موحلة.

وكان الأندلسيون يتهادون فيه ويتنافسون في ذلك ويصف عبد الرحمن بن عثمان الأصم شاعر الخليفة عبد الرحمن الناصر يوم المهرجان فيقول:

أرى المهرجان قـد استبشـرا

غـــداة بكـــى المـــزن واســـتعبرا

وســربات الأرض أفوافهــا

وجللــت الســندس الأخضــرا

وهــز الريــاح صنابيرهــا

فضوعــت المســك والعنبــرا

تهــادى بــه النــاس ألطافهــم

وســامي المقــل بــه المكثــرا

بعض الأعياد والاحتفالات الأخرى التي اختصت بها الأندلس:

عيد العصير:

وكان يقام وقت جني محصول العنب وعصره وفي هذه العيد كان يجتمع الناس في مزارع العنب وينصبون الخيام ويبدأون بمدح الرسول ﷺ ثم إنشاد بعض القصائد وثم يأتي الغناء والرقص وعزف الموسيقا ويجتمع في الحقول الرجال والنساء وهم يرتدون ملابس جديدة، وقبيل نهاية دولة المسلمين في الأندلس كانوا يحرصون عند خروجهم للحقول آن يحملوا معهم أسلحتهم نظرًا لقربهم من حدود مملكة قشتالة التي كانت تغير عليهم من فترة إلى الأخرى وفي هذا يقول النويري السكندري: «عادة المسلمين بها -أي غرناطة- وبأعمالها يحاربون النصارى والنصارى تحاربهم أيضًا فتارة لهم وتارة عليهم فتغنم كل طائفة من الطائفة المغلوبة فإذا وقع بينهم الصلح يصير المسلم يحرث في أرضه والنصراني يحرث في أرضه المجاورة لأرض المسلم بينهما حد الزرع لا يعارض الواحد الآخر»

يوم صباغة الحرير:

كانوا يقيمون فيه احتفالًا به موسيقا ورقص وغناء ويضربون الخيام حتى ينتهوا من صباغة الحرير.

الأعياد الرسمية في الأندلس:

كان السلاطين يقيمون بعض الأعياد الخاصة بالدولة كالانتصارات العسكرية أو حفلات بمناسبة مولد الأمراء أو حفلات الختان لأولادهم وكانت تمد فيها الولائم وتنشد القصائد وتوزع الأموال وكان الأندلسيون يخرجون للفرجة ويستمر الاحتفال حتى ساعة متأخرة من الليل وكانوا يتقاذفون البرتقال والليمون الحلو وماء الورد والزهور.

تذكر أنك حملت كتاب نسمات أندلسية مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

مقابر الأندلسيين وجنائزهم

تعرفنا من خلال الصفحات السابقة على الأندلسيين عشنا معهم أفراحهم واحتفالاتهم لمسنا أذواقهم في الأزياء والطعام، تعرفنا على عاداتهم وتقاليدهم وأمثالهم الشعبية وحاولنا تصور كيف كانت حياتهم اليومية،كيف كانت منازلهم وأسواقهم، وجاء وقت الوداع فرأيت من المناسب في نهاية هذا الكتاب أن نتعرف على نهاية رحلتهم في الحياة، طقوس جنائزهم، وأسماء وأماكن مقابرهم التي دفنوا بها رحمهم الله وغفر لهم.

وصف المقابر وأماكنها:

كانت المقابر الأندلسية في العادة تكون خارج أسوار المدينة وحرص المسلمون على إنشاء المقابر بغية الثواب مثل بناء المساجد والأسبلة ولم يكن التكفل بإنشاء مقبرة من قبل الرجال فقط بل إن هنالك أميرات وجواري قمن ببناء مقابر في الأندلس وفي قرطبة تحديدًا في العصر الأموي.

وكانوا يطلقون على المقابر اسم الروضة ربما جاءت هذه التسمية منذ عصر الدولة الأموية فقد كان أمراء بني أمية يُدفنون في حدائق قصروهم وكان عبد الرحمن الداخل أول من دفن في حديقة قصر الإمارة في قرطبة ومن بعده دُفن فيها أولاده وأحفاده، ومن ثم أطلقوا اسم الروضة على الجزء الخاص بالمقبرة داخل الحدائق، واستمرت هذه العادة في عصر ملوك الطوائف ففي قصر إشبيليةكان هنالك روضة دفن فيها ملوك إشبيلية وكذلك في قصر الحمراء في غرناطة. ولا زالت كلمة روضة تطلق على المقابر في المغرب.

وكانوا يحرصون على تزيين قبورهم بالأشجار خاصة شجر السرو وقد ذكر الرحالة والجغرافي الألماني مونزر أنه رأى مقبرة قديمة في غرناطة خارج باب البيرة مزروع فيها أشجار الزيتون، وأحيانًا كانوا يزرعون فيها النخيل وربما لهذا السبب سميت إحدى مقابر مدينة إشبيلية بمقبرة النخيل.

وكانت المقابر في العادة تتخذ اسم مؤسسها كمقبرة أم سلمة ومقبرة بني العباس، وكان الباب الذي يؤدي إلى المقابر يسمى باب المقبرة أو باب المقابر ولا يزال في مدينة رندة أحد هذه الأبواب ويطلق عليه الأسبان **Almocabar**. وكانت المقبرة أحيانًا تتخذ اسمها من الباب الذي يفضي إليها مثل مقبرة باب شاقرة في طليطلة ومقبرة باب القبلة في سرقسطة ومقبرة باب البيرة في غرناطة.

وهنالك مقابر كان يطلق عليها اسم مقابر الربض، والربض بلهجة أهل الأندلس يعني الحي، وفي أغلب مدن الأندلس كانت هناك مقبرة تسمى مقبرة الغرباء للمسلمين الوافدين على الأندلس أو المسافرين إليها لتجارة أو دراسة أو غيرها ووافتهم المنية قبل عودتهم إلى ديارهم.

أما الأضرحة ذات القباب فقد كانت منتشرة داخل وخارج المدن فكان إذا توفي أحد الصالحين بنوا على قبره قبة وأحيانًا يضاف إليها أو بجوارها زاوية صغيرة للصلاة فيبدأ المسلمون في دفن موتاهم بالقرب من ضريح هذا الرجل الصالح، صاحب الضريح أو صاحب المقام، وتتحول تلك المنطقة إلى مقابر للمسلمين وتتخذ أسماءها من اسم صاحب الضريح، كما كانت توجد بعض الأضرحة المتفرقة في المدينة لعالم صالح أو لرجل

يعتقد في كراماته.

وقد بالغ بعض الأندلسيين في تعظيم هذه الأضرحة وزيارتها والتبرك بها مثل ضريح أبي عبد الله المعروف بالمواق الذي ذكر ابن الخطيب أن الناس كانوا يتبركون بحجارته، والبعض كانوا يعتقدون أن المسك يفوح من قبر ابن الشاطر الصوفي وكان يقصد قبره المرضى وأهل الحاجات، ولم يقتصر الأمر على التبرك بقبور الصالحين بل كان البعض يتبركون بقبور القادة فكانوا يقصدون قبر الأمير يحيى بن غانية الموجود بداخل المسجد الصغير المتصل بقبر باديس بن حبوس داخل القصبة في غرناطة ويتبركون به.

وهنا تجدر الإشارة أن بعض الأندلسيين كانوا يبنون مسجدًا به ضريح ويوصون أن يدفنوا فيه، وبعضهم كان يوصي بأن يدفن في منزله مثل أبي الوليد سعد الأموي الذي قام بحفر قبر في داره وأوصى أن يدفن فيه.

وفي أيام الحصار كان المسلمون يضطرون لدفن موتاهم داخل أسوار المدينة وكانت المقابر في الأندلس من الأحباس أي وقف خيري سواء كان منشئها أحد الأثرياء أو قامت الدولة بتأسيسها، ويتم الإشراف عليها من قبل الرجال الثقات الذين يباشرون شؤون الأوقاف، وكانت تخضع لمراقبة المحتسب فكان يمنع الشباب من الجلوس في أفنيتها أو في طرقها حتى يعطي النساء أريحية زيارة القبور دون أن يكشفهم الرجال كما كان القاضي يمنع الناس من ابتناء منازل أو أكواخ للسكن في المقابر وكان يأمر بهدمها، ومع التوسع العمراني والزيادة السكانية في المدن الأندلسية بنيت بعض منازل خارج الأسوار

فأصبحت قريبة من المقابر فكان المحتسب يلزم أصحاب المنازل بألا يفتح باب ولا نافذة ولا كوة تجاه المقابر.

ومما كتب على شاهد قبر سلطان غرناطة إسماعيل بن فرج:

«هذا قبر السلطان الشهيد فاتح الأمصار وناصر ملة المصطفى المختار، ومحيي سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل الهمام الباسل، صاحب الحرب والمحراب، الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد ونور البلاد.»

وكان بعض الأندلسيين يكتبون أبياتًا من الشعر ويوصون أن توضع على قبورهم منهم الطبيب ابن زهر الحفيد، وهي أبيات تتحدث عن طبه ومعالجته للناس، كما كتب الشاعر ابن زقاق البلنسي أبياتًا وأوصى أن توضع على قبره.

وكذلك المعتمد بن عباد ملك إشبيلية في عصر ملوك الطوائف والذي نفاه يوسف بن تاشفين إلى مدينة أغمات في المغرب فحين أحس بدنو الأجل كتب هذه الأبيات وأوصى أن توضع على قبره:

قبـــر الغريـــب ســـقاك الرائـــح الغـــادي

حقـــا ظفـــرت بأشـــلاء ابـــن عبـــاد

بالحلـــم بالعلـــم وبالنعمـــى إذا اتصلـــت

بالبـــدر فـــي ظلـــم بالصـــدر فـــي النـــادي

نعـــم هـــو الحـــق وافنـــي بـــه قـــدر

مــن الســماء فوافانــي لميعــاد

ولــم أكــن قبــل ذاك النعــش أعلمــه

أن الجبــال تهــادي فــوق أعــواد

كفــاك فارفــق بمــا اســتودعت مــن كــرم

رواك كل قطــوب البــرق رعــاد

يبكــي أخــاه الــذي غيبــت وابلــه

تحــت الصفيــح بدمــع رائــح غــادي

حتــى يجــودك دمــع الطــل منهمــرا

مــن أعيــن الزهــر لــم تبخــل بإســعاد

ولا تــزال صــلاة اللــه دائمــة

علــى دفينــك لا تحصــى بتعــداد

وكانت مقابر الأندلسيين في البداية بسيطة ولكن مع الوقت بدأوا في تزيينها وتفننوا في زخرفتها وبناء القباب عليها وخاصة في عهد مملكة غرناطة.

أما عن جنائز الأندلسيين فكان الإعلان عن الوفاة يتم عن طريق صعود شخص إلى مئذنة المسجد ثم يبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ثم يخبر الناس بأن فلان قد مات فاشهدوا جنازته وأحيانًا يطوف رجلًا في الشوارع يخبر الناس بأن فلان قد مات ويخبرهم عن موعد صلاة الجنازة .

ويجهز المتوفي للدفن ويغسل ويكفن في كفن من قطن أو كتان ويحمل على محفة ويخرج من منزله وتصرخ النساء وأحيانًا

يستأجرن ندابة تذكر صفات المتوفى وتنعيه وإذا كان المتوفى شابًا أو فتاة لم يسبق لهم الزواج كانوا يودعونهم بالزغاريد.

وكانت بعض النساء يتبعن الجنائز حاسرات الرأس وكان القاضي ينهاهن عن ذلك. وكان موكب الجنازة يختلف حسب مكانة المتوفى فإذا كان من كبار رجال الدولة سار خلف الجنازة الوزراء والفقهاء والعلماء، وأحيانًا كان يشارك السلاطين في تشييع المتوفى فعندما توفيت صبح أم الخليفة هشام المؤيد شيعها المنصور محمد بن أبي عامر وسار على قدميه وهو منكس رأسه وصلى عليها وقام بتوزيع خمسمائة دينار على قبرها.

تذكر أنك حملت كتاب نسمات أندلسية حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

ذكرت أسماء المقابر وأحيانًا أسماء من قاموا بإنشائها في المراجع التاريخية القديمة مثل كتاب تاريخ علماء الأندلس لعبد الله بن الفرضي والتكملة في كتاب الصلة لابن بشكوال وكذلك كتاب نفح الطيب للمقري التلمساني وكتب الوزير لسان الدين بن الخطيب وكذلك ذكرت المقابر وأسماؤها من قبل بعض الرحالة مثل الرحالة والجغرافي الألماني خيرونيمو مونزر الذي زار غرناطة بعد عامين فقط من سقوطها وسجل ما رآه في رحلته فيكتاب رحلة إلى إسبانيا والبرتغال وقام بترجمته دكتور محمد أحمد الطوخي.

ويرجع الفضل الأكبر في التعرف على مقابر المسلمين في الأندلس إلى الدكتور ليوبولدو توريس بالباس الذي خصص له فصلًا منفردًا في كتابه تاريخ مدن إسبانيا الإسلامية.

مقابر مدينة قرطبة:

كانت قرطبة أعظم حواضر الأندلس وعاصمتها وبها الجامع الأكبر الذي لم يكن فقط مسجدًا بل مدرسة وجامعة، يقصده الكثيرون لطلب العلم وكان يقصد قرطبة أيضًا العديد من التجار والباحثين عن عمل أو حياة أفضل، فزادت الكثافة السكانية بها وبالتالي زادت مقابرها وقد ذكرت المراجع التاريخية أسماء ثلاث عشرة مقبرة في قرطبة ومنهم:

مقبرة الربض:

يعتقد أن أقدم مقابر للمسلمين في الأندلس هي مقبرةقرطبة التي تسمى المقبرة العتيقة، والتي بناها والي الأندلس السمح بن مالك الخولاني بعد أن أرسل للخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره بحاجة المدينة إلى مقابر خاصة بالمسلمين فأمره بتحبيس قطعة أرض من أراضي الخمس ليؤسس فيها المقبرة، فأنشأ السمح هذه المقبرة في الضفة الأخرى لنهر الوادي الكبير مقابل قصر الإمارة والمسجد، ثم أنشئت فيما بعد بجوارها مقبرة أحدث سميت مقبرة روضة الصلحاء وكان يطلق عليهما معا اسم مقبرة الربض، ودفن فيها أمراء وأميرات من بني أمية كما دفن فيها المؤرخ ابن حيان القرطبي، مؤلف كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس، وقد تم العثور في مكان هذه المقبرة على بقايا شواهد قبور منهم أميرات من عائلة الأمير محمد الأول

والأمير عبد الله والخليفة عبد الرحمن الناصر.

مقبرة أم سلمى أو أم سلمة:

كانت تقع في ربض مسجد أم سلمى، أما مؤسسة المسجد والمقبرة فهي الأميرة سلمى بنت محمد بن الحكم بن هشام الأموي وزوجة الأمير محمد الأول وكانت هذه المقبرة من أوسع مقابر قرطبة وتقع خارج باب اليهود على سور قرطبة الشمالي وكانت الأميرة سلمى كثيرة الخير وقامت ببناء مسجد آخر في شمال قرطبة.

مقبرة قريش أو مقبرة باب عامر:

وتنسب إلى عامر بن عمرو القرشي الذي أنشأها بعد الفتح بوقت قصير شمال غرب المدينة وأنشأ أيضًا بجوارها باب سمي بباب عامر ومع الوقت أصبح يطلق عليها اسم مقبرة باب عامر، ودفن فيها المؤرخ ابن القوطية وهو أبو بكر بن عمر القرطبي ويعرف بابن القوطية لأن جدته سارة القوطية حفيدة ويتزا ملك القوط الغربيين، وكانت قد تزوجت من جده عيسى بن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز.

مقبرة مُتعة:

وهي جارية وسرية الأمير الحكم بن هشام وقامت كذلك ببناء مسجد بجوار المقبرة.

مقبرة معمّرة:

وهي جارية وسرية الأمير عبد الرحمن الأوسط دفن فيها المحدث والفقيه أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني الذي

ولد في القيروان ورحل إلى قرطبة وعاش بها وقام بتأليف عدة كتب من أهمها كتاب تاريخ قضاة الأندلس.

مقبرة بلاط مغيث:

لا نعرف تحديدًا مكانها أو منشأها ولكن جاء ذكر هذه المقبرة في بعض الكتب التاريخية وذكرها الإمام ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس باسم مقبرة بلاط مغيث، المقبرة المنسوبة إلى الزجاجلة.

مقبرة أبي العباس الوزير:

ويرجح إنها تنسب لمؤسسها الوزير القائد العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر المرواني وكان في قرطبة أيضًا عدة مقابر أخرى مثل مقبرة القلعة ومقبرة حلال ومقبرة ابن حزم مقبرة نجم التي كانت مزروعة بالنخيل ومقبرة ربض شقندة

مقابر مدينة طليطلة:

مقبرة باب شاقرة وهي تقريبًا المقبرة الوحيدة التي تم ذكرها في مدينة طليطلة ذكرها ابن بشكوال وقال أن أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي المعروف بابن ميمون قد دفن في حومة باب شاقرة بربض طليطلة.

وبقيت هذه المقبرة بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة ودفن فيها عدد من المسلمين المدجنين مثل السيدة فاطمة التي خدمت لدى بلاط الملك دون أنريك الثاني دي تراستمارا وقرينته الملكة دونيا خوانا، وفيما بعد تم بناء دير سان بارتولومي دي لابيجا فوق هذه المقابر.

وفي سنة ١٨٤٥ أثناء العمل على بناء مقبرة لرهبان الدير عثر على شاهد قبرأسطواني الشكل لرجل يدعى عبد الله بن عباد المتوفي سنة ٤٤٥ هـ\ ١٠٥٣م ، وفي سنة ١٨٨٨ أثناء فتح طريق بين كنيستي سان روكي وسان أنطون وعلى بعد ٨٠٠ متر من باب الشاقرة عثروا على عددكبير من القبور ذات أعمدة صغيرة حجرية وبعض الشواهد الأسطوانية، وهي الآن معروضة في متحف مدينة طليطلة.

مقبرة باب الحنش:

كانت تقع بالقرب من الباب الغربي لسور مدينة بلنسية ودفن فيها ابن الخباز إمام مسجد مربيطر سنة ٥٦٣ هـ\ ١١٦٨م.

مقبرة باب المصلّى:

كانت تقع شرق المدينة خارج الأسوار عند باب الشريعة، والشريعة تعني بلهجة أهل الأندلس المصلى المقام في الهواء الطلق خارج المباني.

وقد اندثرت جميع مقابر بلنسية في توسعة المدينة في القرن الرابع عشر ودخلت مقابر المسلمين بداخل السور الذي بناه بيدرو الرابع في سنة ١٣٥٦م ولم يتم الاحتفاظ أو العثور على أي شواهد قبور.

مقابر جزيرة ميورقة:

يعتقد أن مقابر المدينة كانت تقع بالقرب من باب الكحل خارج أسوار المدينة فقد تم العثور في هذا الموقع على أجزاء من أحجار ضريحية.

مقابر بلدة لوشة:

ولوشة بلدة صغيرة كانت تتبع مملكة غرناطة وهي مسقط رأس الوزير الشهير لسان الدين بن الخطيب ومن أشهر مؤلفاته كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة واللمحة البدرية في الدولة النصرية، وكان بها مقبرة شرق المدينة أقيم عليها في سنة ١٥٥٩م دير يسمى دير لافيكتوريا.

مقابر مدينة مالقة:

كانت المقبرة الرئيسية في المدينة تقع خارج الباب المسمى حاليًا بباب فونتنالا في الشمال الشرقي وكانت تسمى بمقبرة الشريعة أو روضة بني يحيى وعلى سفح جبل فارو كانت هنالك مقبرة أخرى دفن فيها الشاعر والأديب مقدم بن معافي المالقي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. وهو شخص آخر غير مقدم بن معافي القبري الشاعر والأديب مقدم بن معافي المالقي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. وهو شخص آخر غير مقدم بن معافي القبري الشاعر الشهير الذي ينسب له الفضل في تأسيس فن الموشحات الأندلسية.

وقد تم العثور على بعض شواهد القبور في تلك المنطقة في القرن التاسع عشر.

مقابر مدينة مرسية:

لا نعرف الكثير من التفاصيل عن مقابر مدينة مرسية سوى أسمائها مثل مقبرة ابن فرج ومقبرة باب أحمد ومقبرة النخيل.

مع سقوط دولة المسلمين في الأندلس تم إزالة جميع المقابر بها ولم تصمد أي مقبرة فترة من الزمن سوى مقبرة باب الشاقرة

في مدينة طليطلة حيث عاش المسلمون المدجنون فيها تحت حكم مملكة قشتالة وكانوا يتمتعون بحرية العقيدة حتى سقطت غرناطة وأجبروا كغيرهم على التنصر. ولم يتبق من مقابر الأندلسيين إلا بعض شواهد القبور المعروضة في متاحف إسبانيا.

رحم الله إخواننا وأخواتنا المسلمين الأندلسيين وأسكنهم فسيح جناته.

تذكر أنك حملت كتاب نسمات أندلسية مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

*****

المراجع

• نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المقري التلمساني.

• البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذاري.

• الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب.

• ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، تحقيق وترجمة البروفيسور ليفي بروفنسال.

• طوق الحمامة في في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي.

• مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.

• معجم البلدان، ياقوت الحموي.

• ابن الآبار التكملة لكتاب الصلة.

• جمهرة انساب العرب الإمام ابن حزم الأندلسي.

• فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان تآليف ابن رزين التجيبي.

• الطبيخ في المغرب والأندلس لمؤلف مجهول تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا.

• تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس آبي الوليد عبد الله بن الفرضي تحقيق وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني.

• حدائق الأزهار ابن عاصم الغرناطي تحقيق عبد اللطيف عبد الحليم.

• مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية العدد التاسع عشر.

• الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس د. سلمى الخضراء.

• المدن الإسبانية الإسلامية ليوبولدو تورس بالباس.

• مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد المجلد السابع والعشرون، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، د. سحر السيد عبد العزيز سالم.

• مجلة كلية الآداب العدد ٠٢١ أزياء المجتمع الأندلسي من سنة ٩٢ – ٦٢٥ هجرية، د. ثريا محمود عبد الحسن.

• تاريخ مدينة المرية الإسلامية د. السيد عبد العزيز سالم.

• المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، د. رجب عبد الجواد.

• تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، بروفيسور ليفي بروفنسال.

• المرآة في الأندلس، د.سناء الشعيري.

• عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية شهادة ماجستير نجاة الهاشمي جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر.

• فجر الأندلس، د. حسين مؤنس.

• الأمة الأندلسية الشهيدة، د. عادل سعيد بشتاوي.

• الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة د. محمد عبده حتاملة.

• المرآة في المجتمع الأندلسي رواية عبد الحميد شافع.

• الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، جهاد غالب مصطفى رسالة ماجستير إشراف الدكتور محمد عبده حتامله الجامعة الأردنية.

• الصناع وتنظيمهم في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة رسالة ماجستير مقدمة من بدر الدين قرح وعبد الرازق قرح جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي الجزائر.

• الموريسكيون في الفكر التاريخي، ميغيل آنخل بونيس إيبارا ترجمة وسام محمد جزر مراجعة وتقديم د. جمال عبد الرحمن.